

جامعة قاصدي مرباح – ورقلة  
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية  
قسم العلوم الإنسانية  
الشعبة : فلسفة



مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي  
ميدان : علوم الإنسانية  
التخصص : تاريخ الفلسفة  
إعداد الطالبة : فانة مسلمة  
بعنوان :

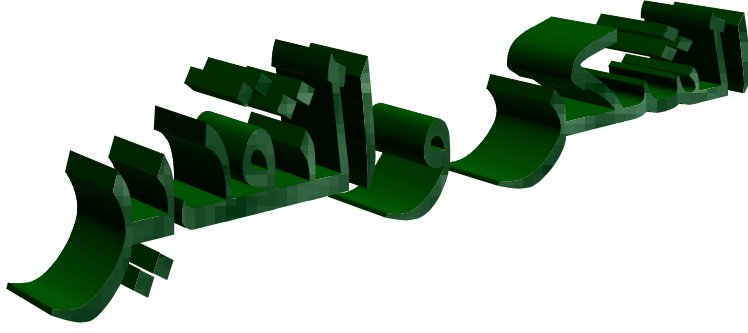
# علاقة العقل بالدين عند ديكارت

نوقشت يوم 26\05\2015

اللجنة المكونة من السادة :

الأستاذ طاهير رياض.....جامعة قاصدي مرباح ورقلة (رئيسا  
الأستاذ بن قويدر عاشور .....جامعة قاصدي مرباح ورقلة (مشرفا  
الأستاذ لعموري شهيدة.....جامعة قاصدي مرباح ورقلة (مناقشا

السنة الجامعية : 2015/2014



الحمد لله الذي خلق الإنسان و زوده بنعم كثيرة منها العقل و الصبر

هذه النعم التي كانت وراء إتمام هذا العمل المتواضع جدا

مقارنة بما كنت أتمناه

أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف بن قويدر عاشور

الذي لم ييخل علي بإرشاداته و نصائحه السديدة

وكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل

كما أتوجه بالشكر إلى الأساتذة الكرام

## ملخص الدراسة :

لقد كانت أبحاثنا في هذه الدراسة حول موضوع علاقة العقل بالدين عند ديكارت ، وقد أمكن لنا تلخيصها فيما

يلي:

حيث توصلنا إلى أن المنهج الديكارتي كان من أبرز الخطوط العريضة لرسم هذه العلاقة الموجودة بين العقل والدين ، إذ جعله يتمكن من إثباته للموجودات منها وجود الله والذات و العالم ، كما نجد أيضا فكرة النفس التي اعتبرها ديكارت محور أساسي في فلسفته الميتافيزيقية أو الدينية لقيامها على ثلاثة مفاهيم أولية منها نجد علاقة الروح بالجسد وتشمل هذه العلاقة العقل والإدراك مما يفسر أن أفكار ديكارت العقلية متضمنة في المسائل الدينية المسيحية لفهم جانب من جوانب تدبير الله للكون ، وهذا ما يؤكد ارتباط أفكار ديكارت العقلية بالدين المسيحي .

the summary of the Study :

Our researches in this study are about the relationship between mind reason and religion according to dicartes, we can sum it up as follows:

we have recognized that dicartes discipline is one of the latitude lines for drawing the relationship existing between mind and religion ,this discipline enabled dicartes to argue for the existence of beings such as ,god and self ,as for the concept of the self ,dicartes considers it the main axe in his religious and metaphysical philosophy ,because it stands on three basic notions ,among them the relationship between the soul and the body, this relationship consists of mind and recognition this is what accounts for the fact that dicartes mind ideas are involved in Christian religion affairs for understanding one of the sides of how god Allah controls the universe ,so this confirms the link of dicartes mind ideas with Christian religion .

اللقمة

مقدمة :

أنتجت الحضارة الغربية العديد من التيارات الفكرية ، والفلسفية ، على اختلاف النزعات والمذاهب ، خاصة في العصر الحديث الذي يعد الفترة المتميزة في الفكر الغربي ، من خلال هيمنة النزعة العقلانية التي أطلقت العنان للعقل ، وحرية الإبداع والرأي ، وهو ما يؤكد "إميل برييه حيث يرى أن " عهد إنسانية عصر النهضة قد ولى على غير رجعة ، وأطل قرن ذو نزعة عقلانية أخذت على عاتقها أن تنظر في العقل البشري في نشاطه الفعلي لا في عقله الإلهي " ، وكان من نتاج هذه النزعة العقلية الفكر الديكارتي الذي نحن بصدد دراسته باعتباره من أبرز الشخصيات الفلسفية الشائعة في الفكر الغربي ، وهو الفكر الذي تناول عدة مسائل منها مسألة العلاقة بين العقل والدين ، لذلك كان من الضروري التعرف على المواضيع الأساسية التي توصل إليها فكر ديكارت ، الذي رسم من خلاله منهجا جديدا جعله يلتبس درجة اليقين في بناء الحقائق الإلهية الأبدية ، المتعلقة بإثبات جميع الموجودات التي ساعدته في التأملات الميتافيزيقية .

إن سبب اختيارنا لهذا الموضوع ، هو الدافع القوي للتعرف على منهج ديكارت باعتباره منهجا تأثر به العديد من الفلاسفة والمفكرين ، بغية الوصول إلى تحديد دقيق للعلاقة الموجودة بين العقل والدين على اعتبار أن الدين كان يحتل الصدارة في العصر الوسيط ، وكان سبب في ظهور هذا المسألة ، مما دفعنا إلى البحث عن مخرج أو مسلك يجعلنا نتجاوز هذه الإشكالية في صورة تبرز العلاقة بينهما ، ذلك أن الهدف من هذه الدراسة هو إبراز مدى أهمية الأبحاث الفلسفية الديكارتية في ابتكاره منهج جديد يعالج المسائل الدينية في قالب عقلائي ، من خلال معرفة ما إذا كان هناك رابط يربط بين العقل والدين بتوضيح بعض النقاط الأساسية .

ومنه فالإشكالية التي سنتناولها في هذا السياق هي : أين يتجسد الجانب اللاهوتي المستتر في عقلانية

ديكارت ؟ وما هي مسوغات علاقة العقل بالدين ؟ وما المقصود بالعقل عند ديكارت ؟

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على خطة مؤلفة من ثلاثة فصول ، حاولنا في الفصل الأول التطرق إلى الجانب العقلي لديكارت ، بينا فيه مفهومه للعقل ، ثم اشرنا إلى منهجه الذي كان قائما على الشك في بعض الأفكار ثم تناولنا في المبحثين الآخرين مسألة الوجود : وجود الذات و وجود العالم الخارجي . أما الفصل الثاني فتمحور حول مسألة الميتافيزيقا عند ديكارت ، حيث كان المبحث الأول يوضح وجود الله وصفاته ، ثم القيم الأخلاقية في المبحث الثاني ، وأخيرا فكرة النفس في المبحث الثالث . وخصصنا الفصل الثالث لإبراز العلاقة الموجودة بين العقل والدين في ثلاثة مباحث : الأول وضحنا فيه الضمان الإلهي للفكر ، ومدى تداخله مع مسألة الكوجيتو ، ثم انتقلنا إلى أن العلم الطبيعي والرياضي في قلب اللاهوت ، وفي المبحث الثالث اشرنا إلى عقائد الكنيسة عند ديكارت و دورها في فهم تلك العلاقة القائمة بين الدين والعقل .

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج التحليلي الوصفي ، وهو المنهج المناسب لتحليل أفكار ديكارت الفلسفية في إثباته للموجودات ، وكذلك المنهج المقارن في إبراز علاقة العقل بالدين .

وهنا نشير إلى اعتمادنا أيضا على قائمة المصادر والمراجع أهمها "مقال عن المنهج" ، و "تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى" ، و "قواعد توجيه الفكر" ، وقد تميزت هذه المصادر بنوع من الصعوبة والتعقيد في الأسلوب ، وركزنا فيها على كتابي "مقال عن المنهج" وكتاب "تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى" باعتبارهما من أبرز مؤلفات ديكارت التي كشف فيهما عن منهجه الجديد . كما تمحور كتابه التأملات حول فلسفته اللاهوتية وأرائه المعارضة لما كان سائدا في العصر الوسيط . كما اتسمت المراجع بنوع من القراءات التي قدمت أفكار ديكارت الفلسفية ، خاصة قراءة "مهدي فضل الله" وقراءة "تجيب بلدي" وقراءة "محمد عثمان الخشت" وقراءة "جينفيان روليس لويس" ، إلا أننا حاولنا الوصول إلى قراءة جديدة ، من خلال القراءات السابقة ومن خلال مختلف المصادر .

لقد واجهتنا العديد من الصعوبات والعوائق في تحليل أفكار ديكارت ، ففي الفصل الأول كانت الصعوبات في فهم قواعد المنهج ، ثم مشكلة إيجاد النقطة التي يتمركز حولها هذه العلاقة بين العقل والدين عند ديكارت

، وكذلك مشكلة جمع الصادر والمراجع لعدم توفرها في المكتبة الجامعية ، كما وجدت صعوبة أخرى تتعلق  
بقلة الخبرة والتجربة المتخرجة من شعبة الفلسفة في جامعة ورقلة .

# الفصل الأول ديكارت و العقلانية

المبحث الأول : ديكارت ومفهوم العقل

المبحث الثاني : المنهج الديكارتي

المبحث الثالث : الشك الديكارتي

المبحث الرابع : الكوجيتو الديكارتي

المبحث الخامس : إثبات العالم الخارجي

خلاصة الفصل الأول



## المبحث الأول : ديكارت ومفهومه للعقل

## أولا : نبذة عن حياة ديكارت

ولد ديكارت في 31 مارس 1596 في بلدة لاهاي من أعمال مقاطعة تورين بفرنسا لأسرة من صغار

الأشراف الفرنسيين ، كان أبوه مستشارا ببرلمان مدينة رين أما أمه فماتت بعد مولده بثلاثة عشر شهرا .

تلقى ديكارت علومه الأولى في مدرسة لا فلاش الملكية سنة 1604 م ، احد مدارس اليسوعيين فبقي

يتعلم بها ثماني سنوات ، حيث أخذ عنها العلوم والفلسفة فبقى السنوات الخمس الأولى في دراسة اللغات

القديمة ، والثلاثة الأخيرة في دراسة المنطق ، والأخلاق ، والرياضيات ، والطبيعات ، والميتافيزيقا .

وفي العام 1619 قصد ديكارت هولندا ليتعلم صنعة الحرب على يد أشهر جندي في أوروبا ، موريس ده

ناساو. توجه ديكارت بعد ذلك إلى هولندا ، فلقى هناك طبيبا مثقفا ذا علم واسع بالرياضيات و الطبيعيات

اسمه اسحق بيكمن فصادقه <sup>1</sup>.

أما في الثلاثينات والأربعينات من القرن السابع عشر، كتب رسائله المختلفة وأصدرها رغم المنازعات التي

كانت بينه وبين اللاهوتيين الهولنديين ، وعاش فترة من الوقت مع ملكة السويد، وفي إحدى المرات وهو في

طريقه إليها أصيب بنزلة برد فتوفي على إثرها ، كان ذلك صبيحة 11 فيفري 1650 م .

وقد كان يوصف ديكارت بأنه فيلسوف، وعالم، و رياضي، ومثقف موسوعي يعتبر من مؤسسي الفلسفة

الحديثة ومؤسس الرياضيات الحديثة .... الكثير من الأفكار و الفلسفات الغربية اللاحقة هي نتاج ، وتفاعل

مع كتاباته التي درست وتدرس من أيامه إلى أيامنا، لذلك يعتبر ديكارت احد المفكرين الأساسيين ، ومن رواد

العقلانية في الفلسفة الحديثة .

11 جورج طريشي ، معجم الفلاسفة ، ط3 ، ( بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر ، 2006 ) ، ص 299

أهم مؤلفاته :

في سنة 1637 كتب ديكارت " مقال في المنهج " بالفرنسية ونشره رفقة رسائله الثلاث " في الضوء ، في الشهب ، في الهندسة "

في سنة 1633 أكمل كتابه "بحث في العالم "الذي أكد فيه حركية الأرض ، ولكنه لم ينشر إلا بعد وفاته .

في سنة 1641 اصدر كتابه " تأملات في الفلسفة الأولى " ولقي معارضا كبرى من طرف اليسوعيين .

وفي سنة 1644 اصدر كتابه " مبادئ الفلسفة " <sup>1</sup> .

### ثانيا : مفهوم العقل عند ديكارت

نحن نعلم أن ديكارت يؤمن بأن المعرفة الموثوق بها لا بد أن تأتي عن طريق العقل لا عن طريق حواسنا المشكوك في صدقها ، ومن ثم فإن هجومه على الثقة في الحواس لا يدهشنا، ولقد كان لدى أفلاطون (427-348ق.م) أفكار مماثلة منذ أكثر من ألفى سنة ، فذهب إلى أن المعرفة الصحيحة هي المعرفة العقلية ، وهي التي يجب أن تكون موضوعية ثابتة وواحدة ، لذا سنحاول في هذا المبحث عرض مفهوم العقل عنده ، إذ يرى ديكارت أن العقل أو الصواب "هو أعدل أشياء الكون بين الناس .... بل هو دليل على أن المقدر على الحكم الجيد و التمييز بين الحقيقة و الخطأ وهي ما يسمى على وجه التحديد صوابا أو عقلا .... وهو الشيء الوحيد الذي يجعل منا بشرا ....."<sup>2</sup> ، بمعنى أن العقل عبارة على مرشد أو موجه يجعل من خلاله الإنسان يميز بين الخير و الشر ، و بين الحق والباطل باعتبار أن هذه القيم تميز هي الآخر هذا الإنسان عن الحيوانات مما تجعله بشرا عقلا ، ذلك أن الخالق قد عدل بين البشر بشأن تقسيم ملكة العقل ، فجوهر فعل التعقل كملكة رابانية .

<sup>1</sup> -عبد القادر تومي ، اعلام الفلسفة الغربية في العصر الحديث ، ( الجزائر : مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ،

2011 ) ص 62

<sup>2</sup> -ديكارت ، حديث الطريق ، تر: عمر الشارني ، ط1 ، ( بيروت : مركز الدراسات العربية ، 2008 ) ص ص 41 ،

42 ، 44 ،

الملاحظ أن ديكارت قد اعتبر أن العقل هو الصواب الذي يقصد به الحق والصدق ، وهو ضد الخطأ والفرق بين الصواب والصدق والحق أن الصواب هو الأمر الثابت الذي لا يجوز إنكاره ، في حين أن الصدق والحق يدلان على المطابقة بين التصورات العقلية والأشياء الخارجية ، فإذا كان ما في الذهن مطابقاً لما في الخارج كان صادقا ، وإذا ما كان في الخارج مطابقاً لما في الذهن كان حقا.

كما نجد تعريف آخر للعقل عند ديكارت شبيه بالتعريف السابق على أنه " قوة الإصابتة في الحكم " <sup>1</sup> ، و المقصود به تجاوز الوقوع في الأخطاء أي الصدق والثبات في الحكم.

كما أشار ديكارت إلى العقل أيضا بأنه " جملة قواعد يقينية سهلة تعصم كل من يراعيها بصرامة من حمل الخطأ محمل الصواب ، فيتوصل إلى معرفة ما هو أهل لمعرفته بتنمية علمه بكيفية متدرجة متواصلة دون أن يهدر أي جهد ذهني ...." <sup>2</sup> ، وفي هذا التعريف يوضح ديكارت أن العقل يضم مجموعة من المبادئ ، والقواعد الثابتة تعمل على توجيه الإنسان في حياته من خلال إدراكه للحق أو الصدق بغية تجنبه من الوقوع في الخطأ عند إصدار الأحكام ، ذلك أن هذه المبادئ أو القواعد تساعد العقل البشري على تجنب إبدال جهد ذهني قد يؤدي إلى إرهاق العقل في إدراكه للأشياء ، فيجب إذن أن يكون حكمنا بالصواب أو الخطأ منصبا على أسلوب إدراكنا للأشياء التي هي موضوعات المعرفة على الأشياء ذاتها .

<sup>1</sup> - ديكارت ، حديث الطريق ، المصدر السابق ، ص 86

<sup>2</sup> ديكارت ، قواعد توجيه الفكر ، تر : سفيان سعد الله ، ( تونس ، دار سراس للنشر والتوزيع ، 2001 ) ص 40

ومنه نجد ديكارت قد توصل إلى أن العقل يمثل الفكر ، وهذا ما نجده عند كل إنسان عاقل وقد انحصر هذا في حدود تشكل لدينا صورة للنفس الإنسانية ، ولهذا السبب توصل ديكارت إلى إثبات وجود الله من خلال العقل ، وهذا ما يدل على أن العقل دائم التفكير والوعي مثل الضوء في ديمومة إضاءته ، ومنه فإن العقل عبارة على سلسلة من الأفكار لا أكثر ولا أقل .

ويقول ديكارت عن العقل أيضا أنه " أحسن الأشياء توزعا بين الناس إذ يعتقد كل فرد أنه أوتي منه الكفاية .... وهي في الحقيقة التي تسمى بالعقل أو النطق ، تتساوى بين كل الناس بالفطرة .....<sup>1</sup> " ، بمعنى أن العقل عند ديكارت هو الشيء الوحيد الذي له الاستطاعة على التسوية ، والعدل بين الناس إذ من خلاله نميز بين الحق والباطل ، ومدى إصابته في إصدار الأحكام الحقة اليقينية من المعارف على أن يحقق المساواة والعدل بين الأفراد بعيدا عن تلك الأخطاء التي كثيرا ما يقع فيها الإنسان بفضل الحواس ولا يحقق منها شيئا ، بمعنى أنه لا يصل إلى هدفه إلا بفضل العقل .

ومنه يعتبر ديكارت العقل جوهر متميز عن الجسم ، فإن الجوهر يعني الشيء أو الكيان<sup>2</sup> ولكن لا ينبغي أن نفهم معنى الجوهر أو الشيء على أنه الوجود المادي القابل للملاحظة ، وإنما الجوهر يوجد بذاته وفي ذاته وجودا مستقلا ولا يعتمد في وجوده إلا على الله تعالى .

والعقل هو النور الطبيعي الذي منح لنا لفهم نفوسنا وما يحيط بنا ، ولنحل المشاكل التي نتعرض لها وتقدم في الكشف عن أسرار الوجود بصفة مستمرة ، ولكننا لا نستطيع أن نستفيد منه كثيرا إذ لم نعطيه الطريقة الرشيدة التي تضبط حركته و لم نحمله على احترامها .

<sup>1</sup> ديكارت ، مقال عن المنهج ، تر: محمود محمد الخضير ، ط3 ، ( الاسكندرية ، الهيئة العامة للنشر والتوزيع ،

1985 ) ص 161

<sup>2</sup> - محمود حمدي زقروي ، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ، ( القاهرة ، دار المعارف ، 1119 ) ص 88

لأن العقل هو بالمعنى المحدود متميزا عن الذهن فهو الملكة العليا للمعرفة ، وهو الذي يحقق الوحدة العليا للتفكير إنه ملكة المبادئ وملكة وحدة قواعد الذهن تحت المبادئ ، وهو لا يتناول التجربة بل الذهن يوحد المعارف التي يدركها الذهن <sup>1</sup> ، ذلك أن الذهن عبارة على ملكة من القواعد لأنه ينزع إلى رابط كل ما هو معطى تحت قوانينه وبوصفه محضا فإنه ينبوع التصورات القبلية والمبادئ ، فهو ملكة التفكير في موضوعات العيان الحسي والتصورات والأحكام والقواعد.

لكن العقل عند هيغل يتخذ معنى مختلفا تماما إنه الهوية بين الفكر وبين الوجود ، كما يفهم العقل بمعنى أنه الحقيقة في ذاتها وبذاتها أما في ظاهريات العقل فإنه ينظر إلى العقل من حيث أنه يتجلى في تاريخ المعرفة ، وهو الثمرة الأولى لتوسط الضمائر بين بعضها البعض لذلك يقول هيغل " العقل هو التوحيد الأعلى بين الشعور وبين الشعور بالذات بين معرفة للموضوع ، ومعرفة الذات إنه اليقين بأنه تحديداته موضوعية ، أي تحديدات لماهية الأشياء وهذا يتم في نفس الفكرة الواحدة إنه العقل يدل على مضمون ليس يوجد في امتثالاتها فقط لكنه يحتوي على ماهية الأشياء التي هي بدورها من نتاج الأنا " <sup>2</sup> ، فمن خلال هذا التعريف توصلنا إلى أن ديكارت قريب بعض الشيء في أفكاره العقلية إلى أفكار هيغل ، برغم من الاختلافات الموجودة في المنهج والزمن لكن بصورة بسيطة .

وفي الأخير نتوصل إلى أن العقل يعد أساس بلوغ المعرفة اليقينية عند ديكارت ، إذ من خلاله توصل إلى الحقائق بواسطة تلك الأفكار والقواعد التي تعصم الإنسان من الوقوع في الأخطاء ، كما ساهمت هذه الأفكار في تشكيل علم يقيني أو منهج جديد يختلف عن غيره .

<sup>1</sup> -صلاح إسماعيل ، فلسفة العقل ، ( القاهرة ، دار قباء الحديثة ، 2006 ) ص 20

<sup>2</sup> -نقلا عن الربيع ميمون ، مشكلة الدور الديكارتي ، ط1 ( الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1982 ) ص

## المبحث الثاني: المنهج الديكارتي

قبل إلقاء الضوء على منهج ديكارت الجديد يجب أن نشير أولاً إلى موقف ديكارت من المنطق الأرسطي الذي ثار ضده هو والكثيرون معه ثورة شديدة خاصة نظريته في القياس ، إذ يعتبره ديكارت قياساً عقيماً لأنه ليس إلا وسيلة لعرض حقائق معروفة.

وبناء عليه بحث ديكارت على منهج آخر جديد يقودنا إلى بلوغ معارف يقينية دون أن نخضع لشك ، وفي هذا الصدد يقول ديكارت "إن أرشميدس لم يطلب إلا نقطة ثابتة غير متحركة ، ليزحزح الكرة الأرضية ..... بحيث أجاد شيئاً واحداً يقينياً لا يقبل الشك " <sup>1</sup> ، والمقصود منه أن ديكارت يسعى إلى بناء منهج جديد يختلف عن المنهج السابق بفضل اعتماده على الأفعال العقلية ، إذ من خلال هذه الأفعال يزول الشك الذي نجده في الأفعال الحسية ، وقد سبق ذكرها عندما ثار حول مسألة القياس والملاحظات الحسية بحيث أن ديكارت قد توصل إلى أن كلا من المسألتين تخضعان لشك ، بمعنى أن المعرفة عن طريق التجربة الحسية تكون مخادعة وليست يقينية ولا تقود إلى الحقيقة المطلقة ، كما أشار ديكارت إلى أنها معرفة لا تنتج أفكار جديدة ، بل هي تعطينا أشياء معروفة، ولهذا نجد ديكارت قد لجأ إلى العقل بغية بناء منهجه بصفة يقينية صادقة تزيل عنه المعارف الشككية بمعنى أن ديكارت اعتمد المذهب العقلي .

ولهذا يشير ديكارت إلى أن الفلسفة الصحيحة يجب أن تعتمد على منهج دقيق ، لذا جعل ديكارت منهجه الجديد قريباً من منهج الرياضيات حتى يتصف باليقين والصدق وتجنب تسرب الشك إلى ما يصل إليه من نتائج .

<sup>1</sup> - Descartes ,pour bien conduire sa raison ,et chercher la vérité dans les sciences , pag49 .

ويقول ديكارت " ليس غرضي أن أعلم المنهج الذي يجب على كل فرد إتباعه لكي يحكم قيادة عقله ، ولكن غرضي أن أبين على أي وجه حاولت أن أقود عقلي ..."<sup>1</sup> ، وهنا يشير ديكارت إلى كيفية توظيف العقل بشكل سليم ، بمعنى ضرورة السلامة في استعمال العقل ليصل من خلاله إلى المعرفة اليقينية ، وذلك يكون بالإرادة والقدرة على الحكم العقلي وفيه يقول ديكارت : "إذ أنه لا يكفي أن يكون العقل سليما بل الأهم من ذلك هو أن تستعمله استعمالا جيدا..."<sup>2</sup> ، وعلى غرار هذا وضع ديكارت جملة من القواعد لتوجيه العقل في صورة منهج جديد .

وفي تعريفه للمنهج قال: " هو عبارة عن القواعد التي تعين الإنسان على زيادة عمله تدريجيا ... و الارتقاء شيئا فشيئا إلى أسمى نقطة يستطيع بلوغها"<sup>3</sup> ، بمعنى أن المنهج ما هو إلا عبارة عن جملة من القواعد تكفل لمن يصل إلى بلوغ اليقين في العلوم باعتباره متصل بالعلم أو أداة له لارتباطه بالمنطق، وقد أشار ديكارت إلى أسس المنهج قبل أن يتطرق إلى قواعده و المتمثلة في:

### أولا : أسس المنهج الديكارتي

بما أن المنهج لا يقضى بما يجب على الآخرين عمله ، ذلك أنه لا يقدم النصح بالمعنى الصريح ، بل هو اجتهاد شخصي للإنسان الذي يستخدم نور عقله الطبيعي ، من خلال تسجيل تلك التوجهات التي يقدمها العقل لذاته ونوع من المساعدات قد اختارها العقل ، وتتمثل هذه المساعدات في أسس المنهج الديكارتي من خلال الأفعال الصادرة عن ملكة العقل التي تبلغ العلم الحقيقي والمتمثلة في:

<sup>1</sup> - ديكارت ، مقال عن المنهج ، تر: محمود محمد الخضير ، ط3 ( الاسكندرية ، الهيئة العامة لنشر ، 1985 ) ص

165

<sup>2</sup> - نقلا عن جنفيان روليس لويس ، ديكارت والعقلانية ، تر: عبده الحلو ، ط4 ( بيروت ، منشورات عويدات ، 1988

، ص 17

<sup>3</sup> - رنيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، المصدر السابق ، ص 92

## أ- البداهة :

تعتبر البداهة الرؤية الذهنية المباشرة للأشياء أو العيان المباشر لها دون أي شك في صحة هذه الرؤية ، بمعنى أن البداهة نوع من المعرفة المباشرة لا تحتاج إلى أي وسيط ، إذ ينتقل فيه الذهن أو العقل من شيء مجهول إلى شيء معلوم انتقالا ليس فيه تفكير أي لا يحتاج العقل فيه إلى إبدال جهد ذهني كبير لأن المسألة تكون فيها واضحة ولا تحتاج إلى برهان ومثالنا على ذلك : الكل أكبر من الجزء ، أو المثلث شكل مألوف من ثلاث خطوط أو شكل مادي له شكل و حجم ووزن وغيره من الأمثلة ....<sup>1</sup> ، ويوضح ديكارت في تميزه بين العيان الذهني المباشر أو الرؤية العقلية ، وبين الرؤية الحسية التي لا ترقى إلى درجة البداهة ، أو الرؤية الذهنية لأنها تعتمد على الحواس إلا أن الحواس خادعة في معظم الأحيان ، ولا يمكن الاعتماد عليها لأنها لا تصلح لأية معرفة يقينية ، معناه أن الحواس تعطينا معارف غير صادقة لا يمكن الأخذ بها أو بناء معارف آخر عليها .

إلا أن ديكارت يميز بين أحكام البداهة وأحكام الخيال ، فالخيال لا ضابط له لأن أحكامه تختلف من شخص إلى آخر بعكس البداهة التي لا اختلاف في أحكامها باختلاف الأشخاص باعتبارها واضحة ويقينية ، ولهذا يقول ديكارت " كل علم هو معرفة يقينية بديهية ، والإنسان يشك في كثير من الأشياء ، لا يكون أكثر علما من الذي يفكر فيه ....."<sup>2</sup> ، وإذ ما تسألنا عن الأسباب التي تجعل أحكام البداهة لا يرقى إليها الشك يجيب عنه ديكارت بأن ذلك يعود إلى طبيعة الفكرة البديهية نفسها ، بمعنى أن الفكرة البديهية بدهتها تزيل عن نفسها جميع الشكوك نظرا لوضوحها لأنها لا تحتاج إلى أي شرح أو مثال فهي واضحة بذاتها .

<sup>1</sup> - مهدي فضل الله ، فلسفة ديكارت ومنهجه دراسة تحليلية ونقدية ، (بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، 200 )

ص 103

<sup>2</sup> - رنيه ديكارت ، قواعد توجيه الفكر ، المصدر السابق ، ص 30



ومنه فإن الفكرة البديهية تتميز بخاصيتين أساسيتين هما: الوضوح من ناحية والتميز من ناحية أخرى لذلك يقول ديكارت " إنني قادر على تقرير هذه القاعدة العامة وهي أن الأشياء التي نتذنها بوضوحها تام وتميز تام هي صحيحة كلها"<sup>1</sup>

### 1- الوضوح:

تعد الفكرة الواضحة هي الفكرة الجلية بحد ذاتها ، التي لا تحتاج إلى تفسير، لأن العقل يذعن لها ولا يشك فيها كما هو الحال بالنسبة إلى الأفكار الغامضة أو المعقدة ، التي لا تحتاج إلى التفسير والتوضيح لتصبح مقبولة من طرف العقل ، بمعنى أن الفكرة مادامت واضحة فإنها تستغني عن جميع الشروحات من أمثلة وتحليلات بغية إيضاح ، وتقريب الفكرة للعقل لأنه ليس بحاجة إليها .

### 2- التمييز:

تعد الفكرة المتميزة عند ديكارت فكرة لا يالتبس معناها في الذهن مع معنى فكرة أخرى ، إنما يبقى الذهن يميز بينها وبين غيرها من الأفكار سواء منها الواضحة أو غير الواضحة ومثالنا على ذلك قول : أنا أرغب ،أنا أتخيل.....الخ<sup>2</sup> ، ومنه يدخل في نطاق الأفكار البديهية الواضحة المتميزة فيما بينها وبين الأفكار الأخرى على أساس أنه لا يمكن أن نقوم بهذه الأفعال دون أن يكون اعتقد بوجود حسي ، ويكون إدراك للتمييز القائم فيما بينها من حيث المعنى ، بمعنى أن الفكرة المتميزة لا يلمسها اختلاط مع بقية الأفكار الأخرى نظرا لميزتها ، وبالتالي تبقى مميزة في ذهن الإنسان مهما كانت هذه الفكرة واضحة أو معقدة وهذا ما يسمى بالأفكار البديهية المتميزة و الواضحة بذاتها ، وفي هذا الصدد يقول ديكارت " لا أعني بالبداهة الاعتقاد في شهادة الحواس المتغيرة أو أحكام الخيال الخادعة....ولكنني أعني بها تصور النفس السليمة

<sup>1</sup> - رنيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى ، تر: كمال الحاج ط4 ( بيروت ، منشورات عويدات ، 1988 ، ص27 )  
<sup>2</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم ، من ديكارت إلى هيوم ، (الإسكندرية ، دار الوفاء، 2001 ) ص 106

.....تصورا هو من السهولة و التمييز .....التصور الذي يتولد في نفس سليمة منتبهة عن مجرد الأنوار العقلية<sup>1</sup> .

### ب- الاستنباط :

تعتبر فكرة الاستنباط عند ديكارت كناية للعملية العقلية ، إذ تنتقل بواسطتها من فكرة بديهية إلى فكرة أخرى جديدة تكون نتيجة ضرورية لها ومن هذه الفكرة أو النتيجة إلى فكرة أخرى ونتيجة أخرى مجهولة تصدر عنها بالضرورة ، ومنه فالاستنباط نوع من الاستدلال الرياضي ننطلق فيه من فكرة أولى بديهية لاكتشاف حقائق جديدة مجهولة عندنا ليست واضحة في الفكرة الأولى ولا تتضمنها كما هو الحال بالنسبة إلى القياس .

معناه أن الاستنباط يعد وسيط بين الفكرة البديهية ، وفكرة أخرى جديدة أثناء القيام بعملية عقلية ما نضرا لأنها تعد نوع من أنواع الاستدلال في الرياضيات ، ومنه فإنها تعد كمنطلق للفكرة البديهية ومما لاشك فيه أن الاستنباط أقل مرتبة من البداهة ، لأن الفكرة البديهية لا تثير أدنى شك في صدقها أما الفكرة المستنبطة فيمكن الشك فيها ، لأنها قد تكون بديهية بالضرورة بالرغم من اعتمادها على فكرة بديهية ذلك لأنها نتيجة التفكير في الزمن.

وعليه فإن الاستنباط يكون بديها عندما يستند على فكرة بديهية كما لا يمكن أن يكون بديها عندما يكون مستند على فكرة بديهية مهما كان صحيح في صورته الخارجية ، ويشير ديكارت إلى أن جميع النتائج التي تستنبط من مبدأ غير بديهي لا يمكن أن تكون بديهية مهما يكن الاستنباط من حيث صورتها الصحيحة ، ويترتب على هذا أن جميع الاستدلالات التي أقاموها غيره على مثل تلك المبادئ لم تتمكن من جعلهم يتقدمون خطوة واحدة في البحث عن حكمة .

<sup>1</sup> - رنيه ديكارت ، قواعد توجيه الفكر، المصدر السابق ، ص 37

ج- الحدس:

يعتبر الحدس عند ديكارت معرفة عقلية مباشرة لذلك قال "لا أقصد بالحدس شهادة الحواس المتبادلة أو حكما خادعا تولده مخيلة تركيب موضوعها بطريقة سيئة ، وإنما أقصد به التصور الذي ينشئه الفكر الخالص .....<sup>1</sup> ، معناه أن الحدس قريب مما يسميه المدرسيون تصورا ، لكن هذا لا يعني أن الحدس والتصور شئ واحد ، لأنه ليس وليد التجربة و بالتالي لا يعتمد على التجربة والحس في شئ ، بل أن الحدس بصيرة العقل ورؤيته لطبيعة الشئ و ماهيته في استيعاب مباشر لتلك الطبيعة حاجز ، فالتوفيق كامل بين صفاء النظرة العقلية وبساطة الطبيعة موضوع النظرة وعلامة الحدس يقين الموضوع من ناحية ، وكذلك صدور الحدس منتبه خالص غير خاضع للحس و الخيال من ناحية أخرى ، والأمثلة على ذلك كثيرة في فعل الحدس هذا وعلى الطبائع التي يعرفها الإنسان ، فبالحدس وجد ديكارت نفسه وتفكيرها وكذلك يعرف الدائرة والمثلث و الامتداد وما إلى ذلك من أمثلة ....

وقد تأثر العديد من الفلاسفة العقلين بمنهج ديكارت ونجد من بينهم سبينوزا في أبحاثه عند تقسيمه لأنواع المعرفة التي اعتبر الحدس من ضمن هذه الأنواع وقد وثق سبينوزا بالحدس معرفة عقلية مباشرة<sup>2</sup> ، وكتعليق لا يمكن أن نعتبر كل معرفة عقلية مباشرة بالضرورة معرفة يقينية صادقة لأنه من المحتمل أن تقع في أخطاء هي الأخرى .

ثانيا : قواعد المنهج الديكارتي

وتتمثل في قواعد أربعة وهي على التوالي :

أ-قاعدة اليقين والبداهة :

<sup>1</sup> - رنيه ديكارت ، قواعد توجيه الفكر، المصدر السابق ، ص36  
<sup>2</sup> - محمد على أبوريان ، تاريخ الفكر الفلسفي ، ج4 (الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1996) ، ص 50

يشير ديكارت إلى هذه القاعدة بقوله: "ألا أقبل شيئاً على أنه حق ، ما لم أعرف يقيناً أنه كذلك ، بمعنى أن أتجنب بعناية التهور والسبق إلى الحكم قبل النظر وألا أدخل في أحكامي إلا ما يتمثل أمام عقلي في جلاء وتمييز....."<sup>1</sup> ، معناه لا يمكن أن نأخذ بفكرة ما على أنها عامة وشائعة أو مقبولة بين جمهور المفكرين ، إلا بواسطة الاستقلال الفكري بعيداً عن تلك المورثات الثقافية التقليدية مما يدفعنا إلى تربية الحكم والقدرة على النقد ، لأن من آفات الفكر الإنساني الميل مع الأهواء والتسرع في الحكم دون تمحيص وتدقيق فيه .

وعليه فإن ديكارت لا يعتبر أن أي فكرة يقينية ما لم تتبين بالبداهة أنها كذلك ، وذلك بواسطة تشغيل الفكر بصفة ذاتية في كل الأفكار التي نملكها سواء كان امتلاكنا لها حاصلًا عن طريق الوراثة أو الاكتساب حتى لا يبقى في عقولنا إلا الأفكار التي يسلم بها كل ذي عقل سليم ، ولا يمكن أن يشك بها أو نرفضها والوسيلة إلى ذلك ممكنة و تكون عن طريق مراعاة ثلاثة مبادئ هي :

#### 1- تجنب التسرع في الأحكام :

ذلك أن التسرع في إطلاق الأحكام من عيوب الإنسان الذي يميل بطبعه ، على حد قول فرانسيس بيكون في نظريته الأوهام الأربعة إلى تجنب الجهد و إلى إصدار الأحكام جزافاً ، لذا لا بد من أعمال الفكر أو النظر قبل إلقاء وإصدار الأحكام .

#### 2- عدم الميل مع الهوى :

لأن عكس ذلك يبعد الباحث عن المنهج العلمي الصحيح الذي ينبغي إتباعه في البحث ، وهذا المبدأ يتمثل في التأييد العاطفي العشوائي لأراء أو أفكار شخص ما فيلسوف ، أو أديب...دون بحث وتمحيص .

#### 3- عدم قبول شيء غير بديهي :

<sup>1</sup> - رنيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، المصدر السابق ، ص143

بما أن عكس ذلك يورث الاضطراب في الذهن نتيجة غموض ما فيه من الأفكار ، فإن هذا إذن يقتضى عدم قبول أي شئ سواء كان ذلك فكرة أو معتقدا ، إلا إذا توفر فيه شرط البداهة وهو كما سبق ورأينا الوضوح التام و التميز المطلق .<sup>1</sup>

### ب- قاعدة التحليل :

وفي قاعدة التحليل يقول ديكارت " ينحصر المنهج باجمعه ، في أن نرتب و ننظم الأشياء التي ينبغي توجيه العقل إليها لاستكشاف بعض الحقائق ونحن نتبع هذا المنهج خطوة خطوة إذا حولنا بالتدرج القضايا الغامضة المبهمة إلى قضايا أبسط ، وإذا بدأنا من الإدراك البديهي لأبسط الأشياء كلها فإننا نجتهد أن نرقى بنفس الدرجات إلى معرفة سائر الأشياء "<sup>2</sup> ، الملاحظ أن ديكارت يؤكد على ضرورة فك تلك الأفكار ، والقضايا من الغموض المبهم إلى أفكار أكثر وضوح وتبسيط لاستطاعة العقل إدراكها أي تحول قضية ما من معقدة إلى قضية بسيطة وواضحة وصولا إلى المعرفة الحقيقية اليقينية .

ولهذا فإن القاعدة تفترض ابتداء من مشكلة عويصة أو معقدة ، لأن ما هو بديهي أو واضح و متميز ليس بحاجة إلى التحليل ، لأن التحليل يجب أن يؤدي في نهاية المطاف إلى فهم مشكلة عناصرها البسيطة المكونة لها ومعرفتها معرفة مباشرة سواء عن طريق البداهة أو الاستنباط المرتكز على الأفكار البديهية ، ومثلنا هو : دراسة مشكلة اجتماعية ما بارزة كالطلاق أو انحلال الأسرة أو تعاطي المخدرات مثلا فما علينا إلا أن نأخذ عينة من الأفراد تمثل موضوع المشكلة ، فنحصى عددهم ثم ندرس حالة كل منهم على حدة وبعدها نتعرف على القواسم المشتركة لجميع عللهم ، وأخيرا نصف العلاج لهذه المشكلة وفي هذا الصدد قال ديكارت " أن أقسم كل واحدة من المعضلات التي سأختبرها إلى أجزاء على قدر المستطاع ، على قدر ما تدعو الحاجة إلى حلها على خير الوجوه ....."<sup>3</sup>

1 - مهدي فضل الله ، فلسفة ديكارت ومنهجه ، المرجع السابق ، ص 108

2 - رنيه ديكارت، قواعد لتوجيه الفكر ، المصدر السابق ، ص 45

3 - نفس المصدر ، ص 45

### ج- قاعدة التأليف أو التركيب :

وفي القاعدة الثالثة من قواعد المنهج يقول ديكارت " أن أسير أفكارى بنظام بادئا بأبسط الأمور و أسهلها معرفة كي أتدرج قليلا حتى أصل إلى معرفة أكثرها تركيبا ، بل وأن أفرض ترتيبا بين الأمور التي لا يسبق بعضها الآخر بالطبع ....."<sup>1</sup> ، تعتبر هذه القاعدة من أهم قواعد المنهج بنظر ديكارت على أنها أبرز القواعد أثرا عند تطبيقه لمنهجه ، لأنها لا تكتفي بالتقسيم و إنما توضح لنا كيف تتعلق النتائج بأسبابها وفق النظام العقلي ، وعليه فإن المنهج بأجمعه ينحصر في ترتيب و تنظيم الأشياء التي ينبغي توجيه العقل إليها لاستكشاف بعض الحقائق ، من خلال إتباعنا لهذا المنهج خطوة ، خطوة إذا حولنا بالتدرج القضايا الغامضة المبهمة إلى قضايا أبسط منها .

معناه أن نؤلف من جديد بين عناصر أو أجزاء المشكلة أو الفكرة التي ندرسها والتي قمنا بتحليلها تأليفا رياضيا بادئين بأبسط العناصر إلى أقل منها بساطة ، وهكذا دواليك في التسلسل المنطقي وليس من الضروري أبدا أن نعيد ترتيب عناصر المشكلة كما كانت عليه من قبل ، وإنما أن نعدل في هذا الترتيب إذا كان يساعد على الفهم والحل ، وفي بعض الأحيان لا تحل المشكلة كليا وتبقى مستعصية في بعض أجزائها على الحل ، لذلك ينصب اهتمامنا على هذه الأجزاء لنتمكن من فهمها .

### د- قاعدة الاستقراء التام أو الإحصاء الشامل:

يعبر ديكارت عن هذه القاعدة بقوله "أن اعمل في كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة و المرجعيات الشاملة ما يجعلني على ثقة من أنني لم اغفل شيئا ....."<sup>2</sup> ، والغرض من هذه القاعدة تشكيل العلم وذلك بان نمر بحركة فكرية متصلة بكل الموضوعات التي تتصل بغرضنا ، بحيث يصبح من المستحيل أن نصل بالبداهة إلى إقامة علاقة بين الحد الأول، والحد الأخير أي أن الوصول إلى النتيجة لا يكون من عمل

<sup>1</sup> - رنيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، المصدر السابق، ص ص 21، 22 ،

<sup>2</sup> - رنيه ديكارت ، قواعد لتوجيه الفكر ، المصدر السابق ، ص 46

البداهة ، إذن فوظيفة هذه القاعدة هي مراجعة الصلات ، والروابط بين الحلقات التي تكون سلسلة الاستدلالات ، فإذا تأكدنا من وثاقة اتصالها جاز لنا أن نحكم حكما صحيحا و يصبح هذا الحكم بالغا من اليقين ما تبلغه البداهة ، لذا يجب أن تكون عملية الاستقراء التام متصلة غير منقطعة ، ولهذا فهي تعني وجوب عدم إغفال أي عنصر من عناصر المشكلة موضوع البحث فقد تتعدد الحدود في المشكلة ، وإهمال دراسة أي منها يعقد الأمر بحيث يصبح من الممكن إدراك العلاقة القائمة فيما بينها إدراك بديهي على أن استطردها العلاقة بين الحدين يؤلف نتيجة .

إذن فالغاية المتوخاة من هذه القاعدة هي : النظر مليا في كل الحدود التي تؤلف موضوع المشكلة ، والتي تكون سلسلة الاستدلال الاستنباطي بغية إدراك العلائق القائمة فيما بينها إدراكا بديهيا من ناحية ، استنباط الحكم الذي يبلغ مرتبة البداهة من حيث اليقين<sup>1</sup> .

<sup>1</sup> - جان قال ، من ديكارت إلى سارتر ، تر : فؤاد كامل ( القاهرة ، دار التقاى للنشر والتوزيع ) ، ص80

## المبحث الثالث : الشك عند ديكارت

بعدما تمكن ديكارت من بناء منهج جديد بغية تحصيله لأفكار ومعارف يقينية واضحة بواسطة العقل ، وبعد شكه في المعارف الحسية شكاً منهجياً من أجل الوصول إلى اليقين انتقل إلى الشك في المعارف الأخرى وأخيراً شك في كل شيء ، وعليه فإن شك ديكارت في التأمّلات ظهر من خلال ملاحظته للأبراج ، التي آبا أن تبدو من بعيد مستديرة في حين أنها مربعة عند اقترابنا منها ، وأن التماثيل الضخمة فوق قمم الأبراج تبدو صغيرة وغيرها من الأمثلة الأخرى الحية ، أما ما كخطي السكة الحديدية فإنهما يبدو أنهما يلتقيان عند نهاية المرمى البصري ، إلا أنهما متوازيان وهذا ما جعل ديكارت يشك في الحواس الباطنة على أنها أيضاً خادعة .

ثم أنتقل شك ديكارت إلى قدرة العقل الاستدلالية في البرهان رغم أنه كان على ثقة من يقين العلوم الرياضية ، لأن معارفنا الرياضية بديهية ، ولكن الناس يخطأون في استدلالاتهم الهندسية حيث توصل ديكارت من ذلك إلى وجود شيطان ماهر يؤثر في أفكارنا لدرجة الخداع حتى في الحقائق والبديهيات<sup>1</sup> ، بمعنى أن شك ديكارت في المعارف العقلية كان من خلال تأثير الشيطان الماهر في الأفكار ، مما تجعل تلك الأفكار في خدعة عاجزة عن الوصول إلى الحقائق والبديهيات اليقينية ، وما يؤكد ذلك تلك الأحلام التي نراها ولا نشك في صحتها وصدقها ، ولكن بمجرد أن نصحو ندرك أنها أضغاث أحلام مما ينتج أن ديكارت لم ينجو منه أي شيء من شكه إلا وجوده ككائن يشك حتى توصل إلى مقولته الشهيرة " أشك في أنني أشك".

فأهم ما في هذا المذهب هو طريقة الشك المنهجي ، فهذه الطريقة من حيث هي أسلوب إجرائي تؤدي إلى الشك الشامل كما حدث فيما بعد في حالة هيوم<sup>2</sup> ، ولكن ما ينقد ديكارت من النتائج الشكّية هو أفكاره

<sup>1</sup> - جان قال ، من ديكارت إلى سارتر ، المرجع السابق ، ص 96

<sup>2</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم ، من ديكارت إلى هيوم ، المرجع السابق ، ص 49



الواضحة و المتميزة حتى يجدها في نشاطها الذهني الخالص فلما كانت الأفكار العامة من أمثال الامتداد و الحركة مستقلة عن الحواس ، فإنها في نضر ديكارت فطرية وأن مثل هذه الصفات الأولية هي التي تولد معرفة بالمعنى الأصلي، الإدراك الحسي فينصب على الصفات الثانوية ، كاللون ، والطعم ، واللمس ، وما شابه ذلك غير أن هذه الصفات لا توجد حقيقتها في الأشياء.

إلا أن الشك ساعد ديكارت في أبحاثه فلم يعد بحاجة إلى الوقوف طويلا عند عدم الثقة بالحسيات ، بينما يتوقف بصورة أطول عند احتمال الخلط بين حال اليقظة وحال النوم ، حيث انه يقاوم هذا الاتجاه بالفطرة لذلك يقول " وهل نحن فعلا مجانيين " <sup>1</sup> ، و المقصود منه أن فكرة الشك في الأفكار التقليدية عند الإنسان لم يكن عائق أمام ديكارت في أبحاثه الفلسفية بقدر ما كان معين له في حين أن الشك في فكرة الخلط بين حال اليقظة ، وحال النوم التي اعتبرت فكرة شائعة منذ أيام أفلاطون و تأثيرها في القدرات العقلية من قبل الشيطان الماكر في تشويشه للأفكار قللت من نسبة مطلقتيها إلى اليقين ، وهذا ما جعل أن الأخذ بهذه الفكرة الشائعة جنون مما يتطلب إلزامية حضور الإرادة في القدرات العقلية للوصول إلى معارف يقينية.

لكن بعد هذا الشك الشامل الذي تضمنه ديكارت في مشواره للأبحاث الفلسفية توصل من خلاله إلى اليقين و سنوضح ذلك جليا فيما يلي :

### - من الشك إلى اليقين :

يعتبر ديكارت الشك هو كل ما احتمال شكاً أي كل ما لم يتمتع بمزايا اليقين المطلقة ، فالشك خطوة التأمل الفلسفي الأولى وخطوته الأساسية ، بمعنى أن الشك يعد خطوة ضرورية في التأمل الفلسفي عند ديكارت ، فإذا أذى بنا هذا الشك إلى المبادئ الأولى كان السبيل إلى اليقين الفلسفي ، وعليه فالشك ذاته

<sup>1</sup> -نقلا عن جينفان روليس لوس ، ديكارت و العقلانية ، تر : عبده الحلو ، ط4 ، (بيروت ، منشورات عويدات ، 1988  
(ص30

تأمل قائم في الزمن وله بالضرورة مراحل تنتظم من الأيسر إلى الأصعب تؤدي في نهايتها إلى نتيجة قد تكون سلبية نقف عندها ، وقد تكون ايجابية تفتح أمامنا الطريق إلى اليقين الفلسفي الكامل .

والملاحظ أن الشك في جميع مصادر تلك الأحكام مما يتنافى في النفس من علم تلقه الماضي بواسطة الحس والخيال مهما كانت هذه التعاليم ، غير أن الإنسان ليس كائنًا حسيًا متخيلاً متذكراً فحسب انه كائن ناطق أيضا يعتمد على عقله في التبصر والاستدلال<sup>1</sup> ، ومن المتفق عليه أن هناك علما واحدا على الأقل يبدو فيه ذلك الاعتماد من الخطأ وهو العلم الرياضي ، ولكن التجربة لا تؤيد ذلك الاتفاق تمام التأييد فكم من مرة أخطأنا بل اخطأ أبرع الرياضيين في براهين هذا العلم ، لذا فلا يمكن أن نسلم بأن طبائع الامتداد و ما يتبعه من أشكال وأعداد لا تحتل علما و يقينيا .

مما ينتج أن خطة الشك اسلم الخطط إزاء جميع الفروض السابقة باعتباره الحزم بعينه إزاء أي اعتقاد أو رأى أو حكم في أي ميدان من الميادين في العالم المحسوس أو في العالم المعقول وفي جميع العلوم على حد سواء مما يقضي الشك كما ذكرنا باعتبار كل حكم ، وبالتالي يقل الالتزام بحكم من الأحكام مما يقضي الشك بالتوفيق عن الحكم ، بمعنى أن هذا الموقف إذ لم يتمكن من توفير اليقين الايجابي للإنسان فهو يضمن له على الأقل عدم الوقوع في الخطأ .

وأن إحدى المشكلات الواضحة عند الشك هي أنه إذا لم يكن هناك معرفة ، فكيف يدعون هم أنفسهم أن كل معرفة فهي وهم ؟ والفيلسوف البيروني الذي يقول أنه كان أكثر سعادة بدون اعتقادات فإنه بذلك يخدع نفسه ، إذ تخيلنا أن هذا الشك يجلس على حافة جسر ملوفا للسفينة الصغيرة عبر الأفق فهو إذا لم يكن لديه أية اعتقادات على الإطلاق فلا بد له أن يكون سعيدا لفترة أطول كما كان سكتسوس أمبريقوس طبيبا وبرجماتيا وشاكا أيضا غير معتدل ، كما كان يعتقد أنه لابد للأطباء أن تقودهم الانطباعات الأولى و التجارب الماضية ، غير أن ديكارت كان أشد راديكالية من هؤلاء جميعا فقد استخدم الشك بقوة و شك في

<sup>1</sup> - نجيب بلادي ، نوابغ الفكر الغربي ديكارت ، ط2 ( القاهرة ، دار المعارف ، 1119 ) ، ص 71

كل شئ حتى في الرياضيات وكذلك وجود العالم المادي غير أن البيروني لم يشكوا أبدا في أن العالم المادي موجود بالفعل<sup>1</sup> ، وقد تبين لنا ديكارت أن الشك النسقي في كل جزء من أجزاء المعرفة عمل مستحيل ، فإنه عليه تكرار ومراجعة كل التجارب العلمية التي أجريت حتى الآن ، وكذلك اختيار جميع الاستنتاجات الرياضية التي تمت إن معرفتنا بالأشياء المادية تأتي عن طريق العقل فاختصر ديكارت الطريق وتساءل عما إذ كان يمكن الشك في هذه المصادر الأساسية نفسها ، إلا أن هناك شيء بالغ الغرابة بالنسبة لهذا الشك الديكارتي الشامل ، فديكارت يفترض باستمرار أنه توجد أفكار خاصة تماما و مستقلة عن العالم من حوله .

ومن مميزات الشك عند ديكارت انه يمتاز بكونه يرفض كل ما لم يثبت بصفة يقينية مثلما يرفض الباطل تماما ، ولا يمتاز بكونه تعليقا للحكم كما هو الشأن عند اللأدرين ، لأن الرغبة في الوصول إلى الحقيقة الني لا تززع هي التي حملت الفيلسوف عليه ويمتاز أيضا بأنه مؤقت ، لأنه غير نهائي ولأن وظيفته إنما هي إخلال المكان لليقين حقا كما يمتاز بأنه إرادي لأن الإرادة هي التي تحمل عليه<sup>2</sup> ، لذا فإن امتلاك أفكار شكية خاصة في رأس شكي خاص هو مشكلة أشد صعوبة مما تبدو أن ديكارت يزعم أيضا أنه مدرك للحالات الذهنية لمعرفة، والشك واليقين وما إلى ذلك ، ومن ثم فإن أي فيلسوف يزعم أن شكه شامل ، فإنه يبرز حقا قدرا من النصب وهو ما أدركه ديكارت في وقت مبكر<sup>3</sup> .

وفي الأخير فان هذه الحالة من الشك المطلق وجد لها ديكارت شيئا يقاومها ذلك من خلال استطاعته في عدم الشك في وجوده لما كان الشك تفكيراً فهو يثبت وجوده فأنا أفكر ، ولما كان التفكير وجوداً فأنا موجود وهي حقيقة مؤكدة وواضحة متميزة خرجت لي من ذات الفكر ، لذا تعتبر الحقيقة التي وصل إليها ديكارت من خلال ذاته أو فكره هي اليقين المراد الوصول إليه بعد الشك في جميع الأشياء .

<sup>1</sup> - إديف روبنسون وجودي جروفز ، ديكارت ، تر: إمام عبد الفتاح إمام ، ( القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع ، 2001 ) ، ص ص 41 ، 45 ، 57

<sup>2</sup> - الربيع ميمون ، مشكلة الدور الديكارتي ، المرجع السابق ، ص 28

<sup>3</sup> - يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ( القاهرة ، كلمات عربية للترجمة والنشر ) ، ص 75

## المبحث الرابع : الكوجيتو الديكارتي

لقد ساد الشك عند ديكارت في جميع معارفه الحسية ، والعقلية إذ توصل من خلالها إلى إثبات وجوده من خلال مقولته الشهيرة "أنا أفكر إذن أنا موجود " .

ذلك أن ديكارت لم يكتف بتعليق أمام الأمور الداعية إلى الشك في إنكاره إلى كل ما هو غير يقيني بوجود العالم الخارجي ووجود الآخرين وحتى العمل الطبيعي للعقل ، إذ يكتشف فجأة أن هذا الإنكار يتضمن دائما إثبات وجود الكائن الذي يفكر ، فإذا كنا نفكر فلأننا موجودون وقبل الغوص في شرح أجزاء هذه المقولة وجب علينا أن نوضح مفهوم الكوجيتو : الذي هو اكتشاف غير عادي وهو المبدأ الأول في فلسفة ديكارت ، وهو الذي أثر في كافة أنواع الفلسفة الحديثة بالإضافة إلى الأدب، والفن ، والعلوم الاجتماعية ، والدين مما أقام جان بول سارتر فلسفته الوجودية على أساسه ، ولقد شغلت المسائل والقضايا التي أثارها العديد من الفلاسفة لعدة سنوات<sup>1</sup> ، ولهذا يقول ديكارت " ينبغي أن أستنتج هذه القضية وأن أعتبرها ثابتة وهي أنني موجود في كل مرة أتلفظ بها أو أتصورها في ذهني"<sup>2</sup> ، وبالتالي فإن الوجود الذي يعنيه بعبارة "أنا موجود يقصد به ديكارت انه وجود كائن مفكر وحتى هذه اللحظة لا نعرف وجودا آخر سواه ، لهذا كان ديكارت أبا المثالية الحديثة فهو يبدأ من الفكر إلى الفكر ، كما يمكن الإشارة إلى شرح هذه الألفاظ التي وظفها ديكارت وهي كل من " أنا " و "إذن " و "أنا " ، وهي عبارة ضمير المتكلم في الكوجيتو مما تبيننا أن ديكارت كان على خلاف وليام جيمس حين قال "أنه يفكر في أنه كان يشعر شعورا مباشرا بحضور شخصه"<sup>3</sup>.

أما كلمة "إذن" فتطلب مزيدا من التفسيرات ولعلها توحى إلينا بفكرة أن هناك ما يناسبه الاستدلال الذي هو كل ما يفكر موجود ، وأنا أفكر إذن أنا موجود فديكارت لا يدرك الوجود في الفكر إلا عن طريق الحدس ، ومن خلال ما ذكرناه يكفي لكي نفهم كيف استخلص ديكارت من عبارة " أنا أفكر إذن فأنا موجود " نظرية

1 - ديف روبنسون وجودي جروفز ، ديكارت ، المرجع السابق ، ص 61

2 - رنيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية ، المصدر السابق ، ص 37

3 - جان قال ، من ديكارت إلى سارتر ، المرجع السابق ، ص 10,09

الحقيقة ، وأن الحقيقة صفة لكل فكرة واضحة متميزة ، بمعنى أن كل فكرة لا يمكن أن تختلط بأي فكرة أخرى ، ولما كانت هذه الخاصية الأولى لا تكفي ما دامت اللذة والألم لا يمكن أن يختلطا بغيرهما ، فإنه ينبغي ألا تحوى هذه الفكرة في ذاتها سوى عناصر متميزة .

كما تتضمن قضية الكوجيتو اعتقاد ديكارت للنظرية الثنائية بين العقل و الجسم ، أي أنه يرى الإنسان مركبا من عنصرين منفصلين كل الانفصال ، لأن العقل يعد ماهية الفكر و الجسم ماهية الامتداد ولا توجد خاصية لأحدهما على الآخر .

وعليه لا يمكن أن نعتبر فكرة " أنا أفكر " صورة منفصلة عن محتواها الوجودي ، إلا على سبيل التجريد و كل تميز منطقي عن طريق المدرسة يدخل الغموض على ما هو واضح بذاته كالفكر ، واليقين ، والوجود فكل فكرة أيا كان نوعها الخاص هي دليل وجود قاطع<sup>1</sup> ، ومنه توصلنا إلى أن الطباع الفكري بمعناه الواسع الذي نجده يؤكد أولوية المدرك دون أن يستبعد بعض ما يترتب عليه ، كالإرادة التي تتعلق به بالضرورة الذات المفكرة ليست إدراكا خالصا والعقل يفترض نوعا من القبول بالأحكام العقلية ، ومع ذلك فإن الوجدان الذي نصادفه في كل آفاق فكري هو أكثر قربا من طبيعة الفكر الخالص أو العقل .

فالكوجيتو كما نرى أخرج ديكارت من مرحلة الشك ومنح أول حقيقة يمكنه الاعتماد عليها ، وقد فحص هذه الحقيقة التي توصل إليها ليعرف ما الذي يجعل منها قضية يقينية ، فلاحظ أن لا شيء في قوله " أنا أفكر إذن فأنا موجود " يضمن له أنه يقول الحقيقة إلا كونه يري بكثير من الوضوح أن الوجود واجب للتفكير ، حيث أننا لا نستطيع و نحن لم نتجاوز بعد مرحلة الكوجيتو أن نتقدم لأننا في سجن من نفوسنا ، وفي عزلة تامة عما يمكن أن يكون موجودا سوانا فإنه لا بد لنا من البحث عن نقطة ارتكاز في نفوسنا بالذات لننتقل منها إلى غيرها وننتصل بما سواها من الموجودات أن كانت هناك موجودات<sup>2</sup> ، مما ينتج لنا

1 - جنفيان لويس ، ديكارت و العقلانية ، المرجع السابق ، ص 42

2 - الربيع ميمون ، المرجع السابق ، ص ص 31، 32

أن ديكارت تمكن من خلال الكوجيتو من الوصول إلى إثبات الذات المفكرة بواسطة العقل المدبر لمعظم الأشياء ، ذلك أن التفكير حقيقة مؤكدة واضحة نابعة من ذات الفكر لها ميزة نادرة تتمثل في إدراك الوجود و الفكر متحدين إتحادا لا ينفصل مهما يفعل الروح الخبيث فلن يستطيع أن يخدعنا فيها .

إذن فإننا نتخذ هذه الحقيقة مبدأ أول للفلسفة فالفكر مبدأ لأنه وجود معلوم قبل كل وجود وعلمه أوضح من علم كل وجود هو معلوم بالبداهة و مهما نعلم فنحن بفكرنا أعلم ، فمثلا لو اعتقدنا أن هناك أرضا نلمسها و نبصرها فيجب أن نعتقد من باب أولى أن الفكر موجود ، إذ قد يكون في الوقت الذي نفكر فيه ثم نتخذ هذه الحقيقة الأولى معيارا لكل حقيقة فكل فكرة تعرض لنا بمثل هذا الوضوح نعتبرها واضحة .

## المبحث الثاني : إثبات العالم الخارجي

بعدما تمكن ديكارت من الوصول إلى الله من خلال جملة من الأدلة أكدت على وجوده حينما وجد بين أفكاره فكرة ممتازة هدته إليه ، وركب منها الأدلة القاطعة الفلسفية لتبين وجهته بعد الخطوات التي مر عليها ، لنرسم بعدها صورة عامة لمسيرتها الفكرية يمكننا أن نستفيد منها وعلى غرار هذا قدم لنا ديكارت دليلين على وجود العالم الخارجي :

أ- **دليل الميل الطبيعي أو النفسي** : يوجد فينا ميل طبيعي قوي نحس به و يجعلنا نعتقد بوجود هذا العالم ، وهو ميل استفدناه من الله تعالى وما دام الله تعالى هو الكائن الكامل الصادق فقد حل هذا الميل محل اليقين و من ثم لا سبيل إلى الشك فيه<sup>1</sup> ، معناه أننا نحس في نفوسنا ميلا طبيعيا قويا للتسليم بوجود العالم الخارجي ، وهو ميل دائم لا يخضع لإحساس عابر أو شعور مؤقت ، لأنه مستفاد من الله الثابت الأزلي وبما أن الله يمتلك كل صفات الكمال ومن بينها صفة الصدق المطلق ، فمعنى ذلك أن ميلنا بالاعتقاد بوجود العالم الخارجي هو ميل صادق .

كما يجب أن لا يسيطر الشك في صحة هذا الاعتقاد ولا نشك إطلاقا في حقيقة العالم الخارجي لأن الله تعالى منبع كل حقيقة ، فإنه لم يخلق الذهن الإنساني على فطرة تجعله يخطئ في الحكم الذي يطلقه على الأشياء التي يتصورها تصورا واضحا جدا وتميزا جدا تلك هي المبادئ التي استعملتها فيما يتصل بالأشياء اللامادية أو الميتافيزيقية<sup>2</sup> ، وعلاوة على ذلك فإن ديكارت يشير إلى أن من شروط إثبات وجود العالم الخارجي هو استبعاد الشك ، معناه أن لا نشك في حقيقة وجود العالم بصفة مطلقة وهذا يعود إلى أن الله هو منبع كل هذه الحقيقة ، ذلك أن الله لم يخلق هذا الإنسان ليشك و يخطأ في جميع الأشياء لذا وجب عليه أن لا يشك .

<sup>1</sup> - نقلا عن مهدي فضل الله ، فلسفة ديكارت ومنهجه ، المرجع السابق ، ص 61,62

<sup>2</sup> - الربيع ميمون ، مشكلة الدور الديكارتي ، المرجع السابق ، ص 42

**ب) دليل الإدراك الحسي :** ذلك أنه فينا خمسة حواس وظيفتها أن تساعدنا نحن البشر على إدراك الأشياء الخارجية ولكن الحواس حين تدرك شيئاً مادياً إنما تستقبل ما هو موجود ولا تخلق شيئاً ، إلا أنه بالنظر في هذا الدليل نجد أن ديكارت يضع مبادئ معينة ، ومن ثم فإن قدرتنا معلولة وينبغي أن نبحث عن علتها وهذه العلة لاشك أنها مصدر أفكارنا الحسية <sup>1</sup> ، إذن يمكن القول أن علة إدراك الأشياء المادية الخارجية ليست موجودة في إدراكنا العقلي ، وإنما هي علة خارجية مثل قولنا أننا نرى لون أخضر ، هذا يعني أن في العقل فكرة لا بد من أنها صدرت عن شيء موجود في الخارج مستقل عن الشيء الأخضر الفيزيائي ذاته ، وقد قال ديكارت في هذا الصدد " إن الأفكار التي أتلقها عن طريق ، الحواس لا تعود إلى إرادتي ..."<sup>2</sup>.

ثم أشار ديكارت إلى ماهية العالم على أنه الامتداد طولاً ، وعرضاً ، وعمقاً بخواصه الهندسية وهي ماهية لا ندركها بالحواس أو المخيلة وإنما ندركها بالفهم ، وإذا أردنا تدليلاً عليها وإثباتاً لها بصفة قاطعة فلن نجد أحسن من مثال قطعة الشمع <sup>3</sup> لناخذ مثلاً قطعة من شمع العسل من الخلية ، فلم تذهب عنها حلاوة العسل الذي كان فيها وما زالت بقية من أريج الزهور التي اقتطفت منها لونها وحجمها وشكلها أشياء ظاهرة للعيان ، وهي جامدة وباردة ويسهل عليها أن تتناولها باليد وإذا نقرت عليها خرج منها صوت ، وعلى الجملة نجد فيها جميع الأشياء التي نعرف منها الجسم معرفة متميزة ، ولكن ها هي ذي اقتربت من النار وأنا أتكلم فماذا أشاهد تتلاشى بقية طعمها وتذهب رائحتها ويتغير لونها ويذهب شكلها ، ويزيد حجمها وتصبح من السوائل وتسخن حتى يصعب لمسها ومهما تنقر عليها فلن ينبعث منها صوت ..

فامتداد الشمعة هو الذي يبقى منها بعض التغيرات التي تطرأ عليها ، فإذا زال زالت معه إنه واقع والواقع الذي يطابقه التصور عن الأشياء الجسمانية كلها في تلك الصفات الخارجة عن الامتداد سواء كانت لونا ،

<sup>1</sup> - رينيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية ، المصدر السابق ، ص117

<sup>2</sup> - رينيه ديكارت ، العالم أو كتاب النور ، تر: اميل خوري ط1 ( بيروت ، دار المنتخب العربي ، 1999 ) ، ص64

<sup>3</sup> - نجيب بلادي ، نوابغ الفكر الديكارتي ، المرجع السابق ، ص ص 119،120



أو صوتا أو لذة أو ألما ، فهي مرتبطة بالجسم في وجوده ومرتبطة أيضا بالنفس في تعلقها بوجود الأجسام عامة ، بوجود البدن بنوع خاص وإدراك الصفات المذكورة ليحمل هذا الازدواج في المعنى بوضوح كامل ، وإدراكنا للامتداد علامة على التمايز بين النفس والجسم.

ومنه يشير ديكارت أنه لإثبات وجود العالم الخارجي ضرورة ارتباط هذه العالم بالذات الواعية ، وبذلك لم يجعل هذا العالم مستقلا عن الذات لأنه لن يعرف إلا من خلالها ، ويؤكد هذه الفكرة بقرار أن الذات تلتصق اليقين في الله وأنه يمنحها ويبث فيها المعرفة اليقينية المتمثلة في الأفكار والصورة الذهنية<sup>1</sup> ، ومن ثم تكون على يقين من صدق وصحة الأفكار الله فينا ، لأنه لا يمكن أن نخدعنا أفكار أودعها الله فينا ويرد اعتقدنا في وجود العالم الخارجي إلى ذلك الميل الذي أمدنا به الله وهو ميل لا يمكن الشك فيه ، ومن ثم لا نعرف العالم الخارجي بالحواس لأنها خادعة إنما نعرفها بالأفكار التي منحنا الله إياها ، وهكذا خضع برهان ديكارت لإثبات وجود العالم لحظة منهجية محددة ، وكان طبيعيا أن يكون هذا البرهان في نهاية سلسلة الإثباتات ، والسبب في هذا هو جعل الأولوية في الوجود لله أولا ثم من خلاله توصل إلى وجود العالم الخارجي .

ومما سبق نستنتج أنه لا يمكن الحكم بإرادتنا إلا على شيء يتصوره فهمنا تصورا واضحا ومتميزا ، حتى تكون الإصابة من حظنا ولا تقع في الخطأ وبما أن هذا ممكن بالنسبة إلينا فمسألة الصواب والخطأ ترتبط بنا ولا علاقة لها بالله ، كما نلاحظ أن الرؤية الرياضية هي الأخرى شجعت ديكارت ليصف الكون بأنه شيء واحد هائل مفرد يشغل مكانا وصورته العقلية المجردة هي صورة مادية كما لو كان الكون قد تم اختزاله بعقيدة متجانسة شاملة ، لذلك فكل شيء موجود في هذا العالم بالفعل شيء ممتد يمكن قياسه رياضيا على وجه اليقين بفعل الذهن البشري .

### خصائص العالم :

<sup>1</sup> - محمد توفيق الضوء ، دراسات في الميتافيزيقا ، ( الاسكندرية ، دار الثقافة العلمية ،(د،س،ن) ) ، ص 71

إن الامتداد هو الخاصية الأولى للوجود المادي ، وإذا كان الأمر كذلك فإن العالم يصبح غير محدود أو غير متناه من حيث الامتداد فأينما تصورت حدود للعالم فهناك مادة وراء تلك الحدود وذلك إلا ما لانهاية ، وإذا كانت المادة امتداد فالعكس صحيح كذلك يمضي أنه لا امتداد بغير مادة ، وبذلك فالكون كله ملاء وأينما وجد مكان فهناك مادة أي جسم والقول بخلاف ذلك يفترض وجود الخلاء<sup>1</sup> ، إذن فإن الفضاء ينقسم إلى ما لا نهاية من الجزئيات ، لأنه عبارة عن مادة و المادة تقبل القسمة إلى ما لا نهاية لها من الجزئيات ولا وجود للجزئيات التي لا تتجزأ ، و القول بخلاف ذلك أي بوجود جزئيات لا تتجزأ معناه وجود الخلاء فيما بينهما .

إن الخاصية الثانية لهذا الوجود هي الحركة لأنه لا يمكننا تصور فكرة الامتداد دون الحركة ، إذن فإن الامتداد والحركة هما الموجودان حقا في العالم المادي فهما يشكلان معا محور علم الطبيعة وبما أن العالم كله ملاء ، فحركات الأجسام فيه كلها أشبه ما تكون بالحلقات الدائرية المقفلة ، لأن الجسم لكي يتمكن من التحرك والانتقال من مكان إلى آخر ، لابد من أن يدفع الجسم الذي أمامه وهكذا تنتهي الحركة إلى النقطة أو البداية التي انطلقت منها ، وهذا معناه أن كمية الحركة في الكون ثابتة وقد خلق الله المادة بهذه الحركة التي كميتها ثابتة .

وهذه النظرية الطبيعية للوجود التي تقوم على أساسين الامتداد والحركة تتناقض نظرية أرسطو الطبيعية ، فأرسطو كان يرى أن كل جسم في العالم الطبيعي عبارة عن جوهر مستقل مؤلف من عنصرين<sup>2</sup> ، العنصر الأول يمثل الهولي أو المادة وهي الحاملة للصورة ، والعنصر الثاني وهو الصورة وهي التي تحدد طبيعة الشيء أو جوهره وهي محصوله على المادة .

1 - مهدي فضل الله ، فلسفة ديكارت ومنهجه ، المرجع السابق ، ص 160

2 - نفس المرجع ، ص 162

أما ديكارت فإنه فضلا عن قوله بوجود جوهرين متميزين في الوجود الجوهر المادي من جهة والجوهر النفسي من جهة أخرى ، فإنه ينفي فكرة الصورة الأرسطية ويرجع إلى الحركة فقط ، فالعالم الطبيعي عنده كناية عن سلسلة من الحركات المتعاقبة على المادة ، لا أكثر ولا أقل ، فالصوت مثلا ليس له وجود مستقل عن نفوسنا إذ لا يوجد في الخارج إلا حركة أجزاء الهواء و اهتزازاتها بإزاء الأذن .

وخلاصة القول أن ديكارت في اثباته لوجود العالم الخارجي قدم دليلين أكد من خلالهما حقيقة وجود هذا العالم الخارجي إذ أن الدليل الأول استقاه من وجود الكائن الكامل وهو الله تعالى ، وذلك باعتبار أنه حذر من وضع هذه الحقيقة في إطار الشك ، ثم أرجع الدليل الثاني إلى الأفكار الحسية ، بمعنى أن وجود العالم كان بفضل ما تقدمه لنا الحواس من معارف لها ما يقبلها في هذا العالم الخارجي بتوجيه من العقل، وأخيرا أشار ديكارت إلى جملة من الخصائص لهذا العالم الخارجي ، والمتمثل في فعل الامتداد والحركة ذلك أن الامتداد اعتبره خاصية ضرورية لوجود هذا العالم المادي ثم خاصية الحركة وهي الأخرى مرتبطة بخاصية الامتداد ، إذ ليس بإمكاننا أن نتصور فكرة الامتداد دون وجود حركة لهذا الكون المنظم .

## خلاصة الفصل الأول :

ولهذا فإن العقلانية الديكارتية قد عرفت صدارة واسعة مما شكل ديكارت معارف يقينية مطلقة ، ذلك أن في جوهرها تجسيد للنزعة الحديثة باعتبارها تضع العقل في مقام المرجعية الاستمولوجية ، وقد شملت منهج جديد يختلف على ما سلف من المناهج الأخرى تضمن فيه مسألة الكوجيتو في إثباته لوجود الذات المفكرة ، ثم إثبات العالم الخارجي وكان هذا انطلاقا من تجاوزه لمسألة الشك الذي كان يلاحقه في كل خطوة من خطوات التفكير الفلسفي إلى أن بلغ اليقين .



# الفصل الثاني : الميثافيزيقا عند ديكارت

المبحث الأول : أدلة على وجود الله

المبحث الثاني : الأخلاق عند ديكارت

المبحث الثالث : النفس عند ديكارت

خلاصة الفصل الثاني

## المبحث الأول : أدلة وجود الله عند ديكارت وصفاته

## أولا : أدلة وجود الله

لقد اتبع ديكارت نظاما جديدا جديرا بالملاحظة ، فلقد لاحظنا جميعا أن الفلاسفة واللاهوتيين قبل ديكارت وربما من أتوا بعده أيضا يبادرون بعد إثبات الفكر أي إثبات الذات المفكرة ووجود النفس ، ثم يبادرون إثبات وجود العالم الخارجي ليصعدوا بعد ذلك إلى إثبات وجود الله أو تقديم أدلة على وجوده ، وذلك بافتراض وجود صانع لهذا العالم ، لكن ديكارت فضل معرفة وجود العالم عن طريق الله تعالى فلم يستخدم الأرض لصعود منها إلى السماء ، بل طلب من الله تعالى أن يضمن له وجود الدنيا أو العالم الخارجي .

وفي مجال أدلة ديكارت على وجود الله تعالى اعتمد على قاعدة ثابتة هي : مبدأ الكوجيتو من خلال الذات المفكرة التي تقوم على الحدس المحض ، وليست استدلال أو قياس وهذا ما يدفعنا إلى التفكير في علة هذا الوجود وتتمثل هذه الأدلة في :

**1- الدليل الأنطولوجي (الوجودي) :** يؤكد ديكارت على وجود الله بفكرة الكمال التي توجد بين الأفكار

التي لها علة وهذه العلة لا يمكن أن تكون نفس ناقصة ، لأنها لا تستطيع بسبب نقصانها أن توجد ما هو أكمل منها كما لا يمكن أن تكون الحواس هي التي تمنحنا إليها باعتبارها لا تمنح إلا التصورات الغامضة ولا المخيلة ، لأنها لا تستطيع أن تفسر وجود فكرة بسيطة واضحة ومتميزة للغاية ، لذلك يقول ديكارت " إنني قادر أن أتصور بغير أدنى شك كائنا كاملا وجوهرا لا متناهيا أزليا ثابتا ، مستقلا لديه المعرفة و القدرة الكاملتان الكليتان خلقتي وخلق سائر الأشياء"<sup>1</sup> ، بمعنى أن ديكارت يعتبر أن الأفكار التي لها علة هي أول خطوة لتحقيق الكمال أو وجود الله بفكرة الكمال ، إلا أن هذه الأفكار يجب أن تكون نفس ناقصة لأن

<sup>1</sup> - رنيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية ، المصدر السابق ، ص50

نقصانها يعجزها عن إيجاد ما هو أكمل منها كما أنه أيضا يستبعد وجود الحواس في تحقيق الكمال ، لأنها تمنحنا من الأفكار إلا ما هو غامض وغير واقعي.

كما يقصد ديكرت بهذا البرهان أن أول ما يتبين في نفسه إذا رجع إليها ونظر فيها هو نقصه ، فهو يعرف أنه يشك والشك نقص فضلا عن وجود فكرة الكائن الكامل اللامتاهي ، مما يشير إلى أن ديكرت لا يستطيع أن يوجد في نفسه هذه الفكرة ، وهي فكرة الكائن الكامل اللامتاهي ذلك أن العلة التي تؤثر لا بد أن يكون لها من الحقيقة مقدار ما لمعلولها على الأقل ولهذا يمكن صياغة هذا الدليل على النحو التالي في صورة قياس :

1 | الله أو الكائن الكامل الحائز على جميع أنواع أو صفات الكمال ، يمثل المقدمة الكبرى.

2 | الوجود أحد أنواع أو صفات الكمال ، يمثل المقدمة الصغرى.

3 | الله أو الكائن الكامل موجود ، يمثل النتيجة .<sup>1</sup>

ولهذا يؤكد ديكرت على إلزامية وجود مثل هذا الكائن الذي وهب الإنسان هذه الفكرة الحدسية آلا وهو الله تعالى، فهو منزه عن الخداع لأن الخداع نقص ، إذن فلا بد أن يكون الله تعالى صادقا لا متناهيا قادرا على دفع الأفعال مثل أفعال الشيطان الماكر الخبيث ، إذن فالكائن الكامل هو الكائن الموجود فعلا و إلا كان هناك تناقض بين معنى الكمال و الوجود ، وكان هذا الكائن تبعا لذلك كائنا ناقصا ، وبالتالي أمكن تصور وجود كائن آخر أعلى منه مرتبة وحائز على صفة الوجود .

والملاحظ أن ديكرت يميز بين الوجود الذهني والوجود الفعلي فيما يتعلق بالحقائق الرياضية<sup>2</sup> ، فهو يرى أن هذه الحقائق لا يقتضي اليقين بها عقليا والتسليم بوجودها فعليا ، إلا أنه يربط بين الوجود و الماهية ولا

<sup>1</sup> - نضى لوقا ، الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكرت ، ( القاهرة ، المطبعة الفنية الحديثة ، 1972 ) ، ص 109

<sup>2</sup> - مهدي فضل الله ، فلسفة ديكرت ومنهجه ، المرجع السابق ، ص 134



يتصور وجود أحدهما دون الآخر ذلك أن ماهية الله تقتضى الوجود ، والوجود الكامل أي الذي يوجد جميع الموجودات.

ومنه تجدر الإشارة إلى ديكارت الذي يرى بأن فكرة الكمال هي فكرة تراها نفوسنا دون أن تصنعها ، وهي في طبيعتها وماهيتها تتضمن بالضرورة حقيقة موضوعها ، لأن طبيعة الله تختلف عن غيرها و لا يمكن الكلام أو الخوض فيها ، ثم إن ديكارت يدعى بأن فكرة الكمال اللامتناهي هي فكرة فطرية طبيعية مركزة في نفوسنا نراها بذهننا أو عقلنا دون حاجة للبرهنة عليها كسائر الأفكار الفطرية، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يفسر ديكارت، إذن وجود الملا حدة من علماء وفلاسفة وعامة الناس في هذا العالم الذين ينكرون وجود الله إنكارا تاما.

**2- دليل من شك النفس (الشخص):** هو دليل يؤخذ من الدليل الأول على أنه موجود غير تام الكمال ناقص ، وهو بالتالي ليس الكائن الوحيد في الوجود إذ لا بد أن تكون مكافئة على الأقل للمعلول إن لم تكن أكثر منه فضلا و كيفا ، فديكارت لو كان علة وجود نفسه لكان يستطيع أن يحصل من نفسه لنفسه على كل ما يعرف أنه ينقصه من الكماليات ، لأن الكمال ليس إلا محمولا من محمولات الوجود والذي يستطيع أن يهب الوجود يستطيع أن يهب الكمال ، لذلك تكون علة وجوده لها كل ما يتصور من الكمالات هذه هي ذات الله تعالى ، وفي هذا الصدد قال ديكارت "لست قادرا أنا نفسي على أن أكون علتها ، اقتضي جبرا أن يكون هناك موجود آخر هو علة هذه الفكرة ....."<sup>1</sup> ، يوضح لنا ديكارت في هذه الفكرة كيف أن قدرة الله أكمل وأشمل ، رغم وجود موجودات أخرى غير الله إلا أن هذه الكائنات أقل درجة من الكمال الإلهي ، إذ ليس بإمكانها الاستطاعة في الوصول إلى علة الوجود لنفسها ، برغم من أنها هي الأخرى كائنات لها وجود .

كما يشير هذا الدليل إلى نظرية معروفة في الخلق المتجددة خلال الزمان وهي نظرية أشار إليها الأشاعرة استخدموها في التدليل على أن العلية الإلهية قد سعت كل شيء ، وذهبوا إلى أن هذه العلة هي

<sup>1</sup> - رنيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية ، المصدر السابق ، ص53

الأثر المباشر في خلق جزئيات الوجود ، وحتى في تفصيلات الفعل الإنساني فقسّموا الزمان إلى لحظات ، وكذلك فعلوا في الملاء والخلاء فقسّموها إلى ذرات.

لكن مهما كان الشك عند ديكارت قضا على كل شيء إلا أن الحقيقة تبقى واحدة أمام الشك الجازف ، وستظل ثابتة لا تميل <sup>1</sup> ، بل إنها ستزداد يقينا كلما أمنت في الشك والإنكار وتلك الحقيقة هي أن هناك ذاتا تشك ، فأن من الشك نفسه تتولد حقيقة لا سبيل إلى الطعن في ثبوتها و يقينها هي وجود الشخص الذي يشك ، وبهذا أثبت ديكارت وجود الله وقد قال "إن فكرتي عن وجود هو أكمل من وجودي قد وضعها فيا بالضرورة موجود ، هو أكمل مني بالواقع " <sup>2</sup> ، ومن خلال هذا القول أكد على نقصان الإنسان كونه لم يخلق نفسه ، فإنه من غير شك مخلوق لموجود قادر أعلى منه وهو الله .

### 3- دليل مأخوذ من الهندسة (الوجودي) : سمي هذا الدليل بدليل الهندسة لأن ديكارت حاول أن

يستخلص وجود الله تعالى من فكرة الله تعالى ذاتها على نحو ما نستخلص صفات المثلث أو تعريفه ، كما أن فكرتنا عن المثلث تستتبع أن تكون زواياه الداخلية مساوية للقائمتين ، كذلك فإن فكرتنا عن الله باعتباره كائنا كاملا متناهيا تستلزم وجوده بالضرورة ففكرة الوجود متضمنة في فكرتنا عن الكائن الكامل على نحو ما تكون زوايا المثلث قائمتين متضمنة في تعريف المثلث .

لذا قال ديكارت "لو كنت أنا خالق نفسي لما شككت في أمر أو رغبت في أمر ولا افتقرت إلى أي من الكمالات ، ذلك لأنني أمنت نفسي حينئذ ، كل كمال يخطر ببالي فأكون إليها " <sup>3</sup> هذا يعني أن فكرة الكائن الكامل عند ديكارت تعد من الأفكار الفطرية المركزية في ذهن الإنسان الذي يمتلك القدرة على اكتشافها بمحض ملكة التفكير ، إنها فكرة موجودة بالقوة لدى الإنسان منذ الولادة ، تماما كما هو الحال بالنسبة لاستعداد بعض الأجسام لاكتساب بعض الأمراض الوراثية ، وعلى هذا فإدراكي للامتناهي أو الله سابق على

1 - زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ، (القاهرة ، السلسلة الفلسفية لنشر ، 1936)، ص 99

2 - رنيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية ، المصدر السابق ، ص 54

3 - نفس المصدر ، ص 55

إدراكي المتناهي فضلا عن أن فكرة الكائن الكامل الموجودة في نفسي لها اثر محسوس خارج نفسي أو فكري والتمثل في الوجود المادي الذي لا يحتاج إلى دليل عليه .

وبهذا فإن إله ديكارت ليس هو أب الكون البيولوجي بل هو أكثر من كونه صانعه ، الله هو الخالق ذو السيادة المطلقة الذي لا يسمح بوجود طبيعة مستقلة معه سواء بصورة مادة المعمار ، لأن الله هو علة الأشياء المخلوقة من حيث ما يتعلق بصيرورتها فضلا عما يتعلق بوجودها .<sup>1</sup>

وخلاصة القول أن ديكارت أكد واستدل على وجود الخالق الذي خلق كل شيء من خلال ثلاث براهين ، انطلاقا من فكرة الكمال الموجودة عند الله لأنه لا يوجد ما هو أكمل منه باعتبار أن الإنسان يمتاز بالنقصان بفضل حواسه الخادعة ، ثم أكد على وجوده بذليل الوجودي بفكرة الكائن إلا أن الإنسان له الاستطاعة على اكتشاف هذه الأفكار الفطرية باعتبارها من صنع العقل وهي موجودة عنده منذ الولادة ، وأخيرا أثبت ديكارت على أن الله موجود أوجد كل هذا الوجود ، بمعنى وجود علة لهذا المعلول تمتاز بالكمال وهي تتمثل في ذات الله تعالى وبهذا وصل ديكارت إلى حقيقة يقينية .

### ثانيا : صفات الله

بعد أن انتهى ديكارت من إثبات وجود الله تعالى وبالتأكيد على ضرورة الرجوع له أثار مسألة صفات الله تعالى وكان أولها حاصل على كل أنواع الكمالات ، ثم يعدد الصفات الإلهية الأخرى فيقول عنه أنه الخالق المبدع للكون ، فالكون عند ديكارت ليس قديما كما قال بذلك أرسطو والكون ليس فيضا تتضمن فكرة خلق الله للعالم عند ديكارت<sup>2</sup>، معناه أن هنالك فرق بين الله تعالى والعالم أو بين الخالق والمخلوقات فهما وجودان متمايزان وحيث نقول أن العالم فيض أي أنه صدر عن الله تعالى ، فإننا نقول بمذهب وحدة الوجود الذي يعني أن الله والعالم شيا واحد ، وبهذا يرفض ديكارت القول بقدوم العالم ونظرية الفيض .

<sup>1</sup> - ريجر هوكاس ، الدين ونشوء العلم الحديث ، تر: زيد العامري (( د ، م ، ن ) ، مكتبة مدبولي لنشر ، 2008 )

ص 82

<sup>2</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم ، من ديكارت إلى هيوم ، المرجع السابق ، ص ص 103 ، 102

من صفات الله تعالى كذلك أنه الواحد والمستقل بذاته له القدر المطلقة ، والعلم المطلق وهو الأزلي ويضيف ديكرت أن الله تعالى خالق الماهيات ، ويذكر ديكرت في كتبه الفلسفية أن الله تعالى خالق الماهيات و الحقائق الضرورية وهو مصدرها الأول بل هو مبدأها ، و الله تعالى ثابت مما يجعل الحقائق و الماهيات ثابتة بثباته ولا يطعن في ثباتها ولا في صدقها ، ولا يجرى التناقض على الله تعالى لأنه من الممكن أن يخلق الله تعالى ما يكون متناقضا بالنسبة لنا ، وينبغي أن نذكر كذلك أن الله تعالى حر حرية مطلقة ، ومن صفاته تعالى الصدق المطلق مما يعني أنه بعيد كل البعد عن الخداع و التضليل مثل الشيطان الماكر وأن صدق الله تعالى هو المعيار الوحيد لكل حقيقة .

مما يتضح لنا أن ديكرت في وصفه لله تعالى ، أنه لم يكن وصفه بعيدا عن وصف الدين الإسلامي للمولى عز وجل رغم أنه مسيحي الديانة في قوله على أنه الواحد والقادر والمطلق أو الأزلي والثابت ، وهذا ما ينتج لنا أن ديكرت كان أكثر دقة ونزاهة في أفكاره من خلال توحيد الخالق باعتباره الشامل والكامل عن سائر المخلوقات.

كما أن ديكرت يرى بأن الكائن اللامتناهي هو الكائن الكامل أي الكائن الكامل الذي يحوز على الكمال ، إذن فالصفة الأساسية الضرورية لله هي الكمال المطلق لكن الكمال في حد ذاته ، ليس صفة موجودة حقيقية وإنما هو جامع الصفات الموجودة فعلا ، بمعنى أن صفة الكمال التي تطلق على الله هي صفة معنوية أو رمزية في حين أن الصفات الأخرى التي تؤلفها ، هي ذات وجود حقيقي<sup>1</sup> ، إذن فالعالم عند ديكرت هو حادث أو محدث ظهر إلى الوجود بإرادة الله المطلقة ، وليس قديما قدم الله كما كان يرى أرسطو ، أو فيضا كما يرى أفلوطين أو هو الله شيء واحد وإن تعددت وجوهه أو مظاهره كما هو الحال عند سبينوزا و المتصوفين المسلمين ، وتتمثل نظرة ديكرت في تمييزه الحاسم بين الله والعالم مع النظرة الإسلامية ، وإن

<sup>1</sup> - مهدي فضل الله ، فلسفة ديكرت ومنهجه ، المرجع السابق ، ص 152

كان ديكارت لم يبين لنا كيف تم خلق العالم كما بين الإسلام ، فإنه يرى بأن كل شيء هو من خلق الله وصنعه حتى أنه يرى بأن الله هو خالق الحقائق العلمية كالحقائق الرياضية .

وخلص القول أن ديكارت قد وصف الله تعالى بالكمال لأنه لا يوجد ما هو أكمل منه في هذا الوجود كله ، كما وصفه تعالى بالصدق والمطلقية والثبات الذي لم يجده ديكارت عند غيره سواه كما وصفه أيضا بالوحدة في الخلق ، ذلك أنه تعالى خلق المهيآت وخلق سائر الأمور الموجودة في هذه الدنيا .

## المبحث الثاني : الأخلاق عند ديكارت

## أولاً: الخطأ و الخطيئة

بما أن الله هو من وهب لنا المعرفة ، وهو مصدر الوجود ، وهو مرتب الفكر، كما هو مرتب العالم ، فمن أين إذن يأتي الخطأ في عمليات العقل إذ بما أن الله لا يخدع ، إذ من المؤكد أنه لم يمنح الإنسان ملكة التمييز بين الخطأ و الصواب بحيث إذ لم يستخدمها كما ينبغي ، ومع هذا تعلمنا التجربة أننا نقع في أخطاء لا نهاية لها ، ولكنّ اعتبرنا الإنسان نفسه مجرد مخلوق محدود متناه في ملكاته وشروط وجوده ، مما أدرك بسهولة أن ما يقع فيه من خطأ إنما مرده إلى هذا و أنه لا به إلى ملكة خاصة يمنحه الله إياها كي يخطئ بمقتضاها ، بل يكفيه لكي يخطئ أن تكون خاصة التمييز يسن الخطأ والصواب كما منحه الله إياها فعلا أي متناهية غير مطلقة أو غير كاملة كما هي في الله <sup>1</sup> ، ونعني بها أنها غير كاملة في طريقة عملها ومبلغ توفيقها في الحصول على نتائج صحيحة غير كاملة من حيث طبيعتها ، إذ هي بهذا الوجه كاملة تماما في رأى ديكارت فالمسألة هنا مسألة وضع نهج لعمل هذه الملكة الكاملة من حيث طبيعتها ، وهنا تبدأ كلمة الأخلاق في الظهور بكل ما للمنهج العملي من ضرورة ومن قوة للأخلاق الكلمة حيثما كانت بين النظر و العمل فجوة أو هوة .

فالخطأ والخطيئة هنا واحد لأن الشر أو الغلط لم يعد مرده بالذات للجهل أو ضعف الإدراك الذي هو سلب ونقص ، بل مرده بالذات إلى عمل ايجابي هو عمل الإرادة فان مثل هذا هنا من يخطئ -هي صاحبة الحكم- كمثل القاضي الذي يفصل في الدموي قبل أن ينتهي من تحقيقها <sup>2</sup>، وقبل أن يتبين فيها مفصل الحق الذي لا يعدو العدل ولا تعثره الشبهة ، بهذا يكون الغلط خطيئة خلقية ويكون التوحيد تاما بين المعرفة والأخلاق بحيث يكون الحكم في أبسط المسائل العقلية عملا خلقيا في نفس الوقت وبنفس الوجه .

<sup>1</sup> - نظمي لوقا، الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت ، ( القاهرة ، المطبعة الفنية الحديثة ، 1972 ) ص153

<sup>2</sup> - نفس المرجع ، ص154

وهكذا يتبرر الله من أن يكون علة أصلية أو مشاركة في الخطأ و الخطيئة ، إذ لو كانت علة الخطأ هي الجهل أو نقص الإدراك وكانت الإرادة خيرة بطبعها لا جريرة لها في الخطأ والخطيئة ربما أصاب الله من ذلك رشاش لوم ، لأنه خلق الإنسان عرضة للخطأ بحكم ملكة منحه إياها ناقصة بطبعها أما الآن فإن الله بمنجاة عن اللوم و هو لا يريد الخطأ للإنسان ، وإنما هو الإنسان يسئ استعمال ما أعطى من حرية في الاختيار فيقع في الخطأ .

والمقصود أن ديكارت يبين لنا كيف أن الإنسان يرتكب الخطأ و الخطيئة بعيدا عن رد هذه الأخطاء إلى الجهل والضعف والنقصان ، لأن ذلك لم يعد مبرر يطرح في القضايا الخلقية ، وهذا ما جعل الله مبرر عن اللوم بحكم أنه منح للإنسان الحرية في اختيار القيم الأخلاقية الحميدة .

### ثانيا: حرية الإرادة و المسؤولية

يعتبر ديكارت الإرادة أن لا تحد بأنها محض القدرة على الاختيار بين حدي الشرطية المنفصلة ، وإلا إنصدمت بهذه الصلة بينها وبين الحق والخير المدركين بالنور الطبيعي ولقد هذا الضمان وفي العمليات العقلية التي رأينا أنها بنفس الوجه عمليات خلقية بما هي قائمة على ملكة الحكم المختصة بها الإرادة ، فالإرادة إذن يجب أن تكون جد مكترثة ومنتبهة للإدراك فكيف هي مجرد حرية اختيار؟

لكن الحرية ليست شيئا سالبا ندعوه الاكتراث بل هي قدرة حقيقية وموجبة على التقرير وهذه القدرة لا تعرف بذليل مغاير لذاتها بل بمحض وعينا المباشر لها ونحن نستخدمها<sup>1</sup> ، فالحرية إذن ليست عملية التقرير بل هي القدرة عليه كما تتراءى في تلك العملية ، فالإرادة قبل أن تقرر شيئا تكون دائما حرة أي لها القدرة على اختيار أحد الحدين ، ولكن ليس معنى هذا أنها تكون بذلك دواما غير مكترثة... فشرط الحرية الذي نميزها من عدم الاكتراث هو الانتباه لما يجب أن يصنع أو يقرر ، فإنه متى توفر الانتباه لدى الإرادة انتقى

<sup>1</sup> - نظمي لوقا ، الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت ، المرجع السابق ، ص 120

عدم اكترائها وبدا فيها ميل عظيم لإتباع نور الإدراك لمحض حريتها، أي بفعل ذاتي منها إلا بضغط خارجي عليها ، فلا يبقى لها أثر من عدم الاكتراث أو استواء الطرفين .

ولهذا توصلنا إلى أن ديكرت يعتبر الحرية من الكماليات الضرورية للقيم الأخلاقية في تحقيق الإرادة الإنسانية باعتبارها ترسم الطريق المناسب لاختيار السلوك الخير ، وذلك لارتباط الحرية بفعل الإدراك في مسألة الاختيار كما ربط أيضا الإرادة بكل من الحق والخير .

ولكن إذا كانت حرية الإرادة إنما تكون لها بقدر تحررها من عدم الاكتراث الذي يبدو حرية كاملة سامية في ظاهر ، إن الإرادة دون غيرها هي التي يدرك كمالها في الإنسان حتى أن هذا الكمال ليعدل كمال حرية الله نفسها سواء بسواء ذلك أن حرية الإرادة الإنسانية إنما تكمل حين يشرق النور الفطري فيتبين طريقها إلى الحق والحرية بحكم طبيعتها ، لأن في طبيعتها أن تتحاز إلى الحق أو الخير متى بدا واضحا في الإدراك ، ولا يكون ذلك في جميع الأحوال التي يطلب فيها إلى الإرادة أن تختار، فهل حرية إرادة الله من هذا القبيل تتقيد هكذا بحدود الإدراك ولا ينبغي أن تنفصل عنه ؟

ومنه نستنتج أن فعل الإدراك وفعل الإرادة والخلق عنده أمر واحد ، وليس من نظام أو قانون أو باعث من بواعث الخير أو الحق إلا هو معلول له وخاضع له ، لأنه علة فعلية للخير والحق بينما الإنسان يتلقى الحقائق مفروضة عليه خاضعا لها فطبيعة الحرية الإلهية ليست كطبيعة الحرية الإنسانية ، أما عن الإنسان فإن طبيعة كل ما هو خير وحق تعتبر له مفروضة من قبل الله ، فلا يستطيع بعد إذن أن يكون غير مكترث إلا حينما نجعل ما الخير وما الحق ولهذا كان عدم الاكتراث غير ملائم لماهية الحرية الإنسانية.

أما الله فإنه العكس من ذلك هو الذي أقام الخير والحق بإرادته من جهة الأزل ، فهو لا يكثرث على ما كان أو سيكون ، فالخير والحق مفروضان علينا بما لها من ضرورة إذا أراد الله لهما تلك الضرورة بالنسبة لنا لا تملك معهما تصرفا ولا من سلطان ضرورتهما تحللا أو تحورا ، بينما تلك الضرورة التي لهما بالنسبة لنا



ليست موجودة فيهما بالنسبة للخالق<sup>1</sup>، لأن الحقائق الأبدية تستمد ضرورتهما من إرادته إذ خلقها وليس العكس، أي أنه خلقها لأنها ضرورية فهي فعل حر من أفعال إرادته، وهي ليست ضرورية لها من جهته ولا خاضع لها لضرورتها تلك التي أرادها لها ولكن كل مالها من ضمان الثبات فهو كاف إنما هو من ثبات إرادة الله بما هو الكمال الأسمى، فالحق والخير مفروضان علينا من الخارج والإدراك لا حيلة له فيهما، وكذلك الإرادة لا حيلة لها في عدم الانحياز إليهما متى وقعا لها عن طريق النور الفطري في الإدراك، بل بالعكس أنها حينئذ تتحاز إليهما بمحض طبيعتها الذاتية وبمحض حريتها كقوة لجوهر النفس أو الفكر.

إن يمكن القول بأن الإرادة الإنسانية من حيث هي ملكة للحكم حكم الوجود لما هو موجود فعلا لا ملكة خلق فلا شبه بينها وبين إرادة الله التي هي إرادة خلق، وكل الشبه إنما هو في الصورة الشرطية المنفصلة التي يكون الاختيار بين حديها... ولكن من حيث قيمة نفس الاختيار وما يترتب عليه.

ومن هنا تكون الإرادة هي المسئولة عن الحكم ومن ثمة عن الخطأ والخطيئة، وعلى هذا يجب على الإرادة أن تقوم بمسئوليتها أن تدرك حدود وظيفتها، وأن تدرك أن سبيل الخير و الحق إنما هو عن طريق النور الفطري الذي به يهديننا الله إلى ما جعله منذ الأزل حقا وخيرا، وأن تدرك كذلك أنها مجرد ملكة أو قوة للفكر لا جوهر مستقل بنفسه وله حريته الخاصة، فالانتباه والحزم الحازم على الارتباط بنور الحق والخير أول خطوة في العمل الخلقى السليم إطلاقا مادامت الإرادة هي المسئولة عن الخطأ والخطيئة.

فضيلة الإرادة إذن ترتبط بإرادته الحق والخير وأن تتحرهما في الحكم تحريا دقيقا حتى إذ رفعها عن طريق النور الفطري في الإدراك ومضت في إنقاذها بكل قواتها، لذلك قال ديكرت "فما الفضيلة إلا الإرادة الحازمة الثابتة لانقاد ما نحكم بأنه الخير، وأن نستعمل كل ما في الإرادة من لدينا من قوة لا حسان للحكم"<sup>2</sup>، وفي الأخير أكد ديكرت على ارتباط الإرادة بالحق والخير من خلال ما وجهه للأميرة من خطاب على

<sup>1</sup> - نظمي لوقا، الله أساس المعرفة والأخلاق، المرجع السابق، ص 163  
<sup>2</sup> - نقلا عن نظمي لوقا، الله أساس المعرفة والأخلاق، المرجع السابق، ص 164

فضيلة الإرادة ودورها في تحصيل القيم الأخلاقية السامية ، ومنه فإن الفضيلة عند ديكرت هي الإرادة الخيرة.

### ثانيا: الخير و الشر

أما الخير والحق فبالإدراك يعرفان وبالحدس أو النور الفطري نصل إلى اليقين في شأنهما على الوجه الذي به ندرك الحقائق الأبدية المضمونة<sup>1</sup> ، والتي تضم حقائق المنطق والرياضة والأخلاق ، وبالتالي كل حقيقة ممكنة متاحة موطنها للإنسان ولكن ما الخطأ وما الشر في مقابل الحق والخير، هل الحق هو الإدراك الإلهي؟ والخطأ هو الإدراك الإنساني في مقابله؟

بمعنى أن كل من الخطأ أو الخطيئة عبارة عن عدم أو خلاء يقابل الكمال الأسمى ، والإنسان مكانه بين هذين بإدراكه وإرادته بما هو محدود غير كامل فهو لهذا مشارك في العدم من بعض الوجود ، هو بالتالي فهو عرضة للخطأ والخطيئة دون أن يكون لله مشاركة فيهما ، ولكن هل الخطأ والخطيئة سلب خالص؟ أفلم نرى أن الخطأ فعل إيجابي للإرادة بأن نحكم في غير موضع للحكم أي دون أن يتبين لها الحق عن سبيل الإدراك ، فمعنى هذا إذن أن الخطأ أو الخطيئة إنما هو تقرير على أنه الحق والخير إقرار لا موجود على أنه موجود فهو إحلال العدم محل الوجود وإحلال سلب محل الموجودات وهذا الإحلال نفسه هو العمل الخلفي ، وهو عمل الإرادة الإيجابي وهو الخطأ والخطيئة فهما إذن من جهة الإرادة عمل إيجابي ومن جهة الوجود أي باعتبارها الغلط والشر في ذاتهما .

وبهذا الوجه و باعتبار أن الخير ليس إلا ما أراده الله ، لذا قال ديكرت "أليست غايات الله غير مدركة فلا ينبغي أن نحكم على أعمال الله باعتبار جزء منها هو طبيعتنا الخاصة ، بل باعتبار الكل فما نحن إلا ذرة ضئيلة من خليقته"<sup>2</sup> ، فالله إذن ليس مصدر الشر ولا هو يريده ولو أنه أراده لما كان شرا ، لأن حد

<sup>1</sup> - نظمي لوقا ، الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكرت ، المرجع السابق ، ص ص 168، 156

<sup>2</sup> - رينيه ديكرت ، مقال عن المنهج ، المصدر السابق، ص 120

الخير أنه ما أَرادَه اللهُ ، ولا سبيل لنا إلى ذلك في الإدراك وهكذا يكون الخير ليس ما تواضع الناس عليه من أمجاد وتشريفات ومغانم خارجية أو لذا أذات حسية فليس الحس ولا العالم مصدر الخير بل هو الله يحمل الخير أصلا ، بإرادته الثابتة الكامل منذ الأزل وإرادته السامية خلال النور الفطري ، الذي هو دليل على قدرة روحنا على تلقي معارف حدسية من الله.

فالخير كالحق يدرك كما ندرك كل الحقائق الأبدية بالحدس أو النور الفطري ، وضمان ذلك قائم في الله وصدقه ليس غير وبغير ذلك يبطل قيام المعرفة كما يبطل التميز بين الخير والشر كأساس للأخلاق ، ومحمور للفضيلة تقوم عليه وتتحرراه في اتجاهها نحو الخير بمعنى الكلمة .

وخالصة القول أن ديكرت اعتبر الخير هو الأساس الذي تبنى عليه الأخلاق ، لأنه المقياس الذي نحكم به على قيم أفعالنا على ما يوجد في الخير من نفع ولذة وسعادة على الإنسان ، لأنه هو وجدان كل شيء ومصدره الله إلا أنه وضع له حد وعلى خلاف ذلك نجد الشر الذي يجهل مصدره باعتبار أن الله ليس مصدر الشر ولا يريد وجوده كما أن هناك العديد من الفلاسفة يطلقون على الخير بالوجود وعلى الشر بالعدم.

### ثالثا : بناء الأخلاق

إن الفضيلة تقوم على الإرادة، فهي صميم طبيعتها الداخلية وهي ملكة للجوهر، وليست الجوهر وأنها قادرة على أن تحزم أمرها في تحرى الحق والخير، كما يبدو في الإدراك الواضح المتميز وهي فضيلة تقوم على علم الفكر لذات نفسه وعلى تعمقه في ذلك العلم إلى ابعد الحدود.

وان علما يقوم على الحدس أو النور الفطري دون غيره بحيث يضمن الله صدق الحدس ، وصدق النور الفطري الذي عليه يقوم الحدس لهو علم يقوم على معرفة الله وعى الإيمان به بحيث يبطل العلم وتبطل

الفضيلة ومنه ينهار الإيمان بالله<sup>1</sup> ، بمعنى أن الإنسان في معرفته لله بواسطة الحدس يتطلب عليه إن يكون مصحوب بوعي وتفكير إلا إن هذا يبطل الفضيلة ويزول الإيمان بالخالق ومنه يصبح لا جدوى من هذه المعرفة .

إذن فمعرفة الله وحدها هي الكفيلة إذ نظرنا لما يكتشف لنا من عظمة العالم ونظامه نظرة العارف لمكانه الضئيل من هذا الكون المترامي ، بواسطة معرفة قدرة الله وإجلال له ومحبة لخليقته تبعا لمحبهته وحرصا على أنقاد مشيئته وسنته في هذه الخليقة ، وهذا ما يروض أنفسنا على تحرير الخير والحق لأننا ندرك أننا مجرد جزء ضئيل من الكل.

ومنه يشير ديكارت إلى أن الإنسان ليس روحا خالصا ، بل له جسم أيضا والكائن الأخلاقي في الإنسان موضوعه هذا المزاج العجيب من الطبيعيتين النفس والجسم<sup>2</sup> ، وأن النفس أو الروح حالة في الغدة الصنوبرية حيث تنقل النفوس الحيوانية إليها تأثير الجسم وانفعالاته ، كما تنقل منها إلى الجسم أوامرها وانفعالاتها التي تجعل الإنسان يبدو عليه كجسم صدى ما يدور في نفسه ، وعلى هذا يتأتى لنا أن نصل إلى التوافق بين طبيعيتين في الإنسان بأن نخضع لأخس منها لأسوء .

وهكذا تردنا معرفة الله الحق والإيمان به كجوهر كلي الكمال إلى الروح من المحبة والتسامح ، وتزيد بالممارسة والتعود حتى تصبح ألفة له وحبا فلا نحب أنفسنا لأننا نشبهه من جهة فقط ، ولا نحب الناس فقط لأنهم يخطئون مثلنا فنعذرهم بل نحبهم أيضا لأنهم مثلنا ذو صلة بالله ، وبهذا نتخطى وجودنا الفردي ونقصنا إلى آفاق الكل المترامي وإلى الكامل بإطلاق ، وهكذا نصل إلى أن نحبه بكل إرادتنا فنتمنى تمام مشيئته ولا نشتهي شيئا سوى هذا.

1 - نظمي لوقا ، الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت ، المرجع السابق ، ص 176

2 - نظمي لوقا ، الله أساس المعرفة والأخلاق ، المرجع السابق ، ص 181

كما يشير ديكارت إلى الأخلاق المؤقتة المتمثلة في فن الحياة السعيدة ، رغم الشك الذي يبقى يحيط بأحكامنا على الأشياء ولكن بدون أن يبلغ بصورة من الصور إلى المساس بشروط سعادتنا المثالية الاجتماعية الثبات في الإرادة ، والاعتدال في الرغبات ثم يتطرق ديكارت بعد إنجازه إلى نظريته في الميتافيزيقا وفي الفيزيقا إلى المسائل الخلقية على أساس تصور متبصر ومنهجي عن الإنسان<sup>1</sup> ، ومنه يتضح لنا أن ديكارت في مسألة الأخلاق انطلق من فكرة الخطأ والصواب في ملكات العقل باعتبار أن الله قد منح للإنسان ملكة التمييز بين الخطأ والصواب بغية التجنب من الوقوع في الأخطاء ، فمن خلال تلك التجارب التي قد وقعنا فيها من قبل كل من العقل والحواس على أن ذلك الغلط لم يكن مصدره النقص فقط ، وإنما حتى العمل الإيجابي الإرادي ساهم في ذلك ، وعلى غرار هذا ربط ديكارت الخطأ والخطيئة في مسألة الأخلاق بالخير والشر على أنهما خير من جهة الإرادة ، في حين يعتبرهما شر من جهة الوجود ذلك أن الخير هو ما أرادته الله لنا وأن الشر هو ما لا يريده الله ، وبهذا توصل ديكارت إلى أن الله هو مصدر الخير وليس مصدر الشر ، أما الخير الأسمى فهو المعرفة الحقة لأن الخير والحق عنده أمر واحد فلا فرق لديه بين الحق العلمي المتصل بالمعرفة الحقة ، وبين الحق الأخلاقي المتمثل في الخير الأسمى ، ويهدف ديكارت بذهبه الأخلاقي إلى السعادة ، على أن وأول درجات السعادة أن نسير دائما على الوجه الملائم في عالم خلقه الله ذو الكمال المطلق الذي برهنة الميتافيزيقا على وجوده وبما أن الله لا متناه .

وخلاصة القول أن الإنسان إذا ما سار وفقا للعقل في حياته ، ولم يتردد في الأخذ بالعقل وحده حقق

لنفسه الطمأنينة والسعادة وهما الجزاء الأوفى لحياته في الدنيا .

<sup>1</sup> - اميل برهيه ، تاريخ الفلسفة ، تر: جورج طرابيشي، (بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، 1993 ) ج1 ، ص 123،125

## المبحث الثالث : النفس عند ديكارت

ما يتضح لنا من خلال فكرة النفس عند ديكارت أنه لا يحتفظ من نفوس أرسطو إلا بنفس واحدة هي النفس المفكرة أو النفس العاقلة ونستطيع أن نقول أنه ما كان ينبغي عليه أن يحتفظ حتى بالنفس العاقلة ، فديكارت يحتفظ بالتصور للجوهر والحق أننا نستطيع أن نتابعه في يسر حين يتصور وجود "الأنا " على أنه فكر أما حين يستخدم لفظ عقل أو النفس فإن ديكارت يمضى في طريقه :

فنحن نرى أن النفس تعرف قبل الجسم لهذا يقول ديكارت " إنني أعتبر بأننا لا نلاحظ على الإطلاق بأن ليس من عامل يؤثر بطريقة مباشرة على النفس كما يؤثر الجسد الذي ترتبط به ، وبالتالي فإن ما كان فيها انفعال هو بشكل عام فعل فيه حتى أننا نستطيع القول بأنه أفضل طريق لمعرفة انفعالاتنا هي فهي فحص الاختلاف القائم بين النفس و الجسد ....."<sup>1</sup>

ومن خلال هذا النص تبين لنا أن ديكارت أثار فكرة انعدم علاقة منطقية تربط بين ما هو عقلي وما هو جسمي أو مادي طبيعي ، إلا أن الوقائع التجريبية تثبت وجود مثل هذه الروابط والعلاقات ، وإذا سألنا ديكارت كيف يعرف الإنسان هل بالعقل أم بالجسم ؟ نجد لديه الإدراك أيا كان نوعه لا يتم في اعتقاد ديكارت بدون العقل الإنساني بما يحتوي من أفكار واضحة متميزة ، ويؤكد على مثل هذه الحقائق وفي هذا يقول " تعلم النفس بالعقل ويعلم الجسم بالعقل كذلك ولكنه يعلم أحسن بكثير بالعقل تعاونه المخيلة ، أما إتحاد النفس و الجسم ، فلا يعلم إلا علما غامضا بالعقل و المخيلة ....."<sup>2</sup> معناه أن ديكارت يؤكد على

<sup>1</sup> - رنيه ديكارت ، إنفعالات النفس ، تر : جورج زيناتي ، ط1 ( بيروت ، دار المنتخب العربي ، 1993 ) ، ص 15

<sup>2</sup> - نفس المصدر ، ص 16

ضرورة العقل في وجود كل من النفس و الجسم ، حيث اتضح أن تعلم النفس لا يكون إلا من خلال العقل ، وهذا لضرورته عند ديكارت ذلك بأن العقل تعاونه المخيلة بالإدراك المباشر الذي ينتج عنه الوضوح المتميز للأفكار الحسية ، ولهذا نجد ديكارت قد قسم الأفكار الفطرية إلى أقسام تتمثل في:

### أولا : أقسام النفس عند ديكارت

أثبت ديكارت أن النفس جوهر مفكر كل ما فيها وعى وتفكير فإذا نظرنا في التأمل الثالث من ديكارت وجدناه يقسم أفكار النفس إلى أنواع ثلاثة هي :

1- الأفكار الاتفاقية أو الخارجية أو العارضة ، و يقصد بها الأفكار الحسية أو ما ينطبع في عقولنا حين ندرك الأشياء المادية الخارجية بالحواس الخمس مثل اللون و الطعم ....واعتماد ديكارت أن هذا النوع من الأفكار لا قيمة له في بناء صرح معرفي دقيق لأن مصدرها الخبرة الحسية .

2-الأفكار الخيالية أو المصطنعة ويقصد بها تلك الأفكار التي نصل إليها بفعل المخيلة ، و يكونها الخيال على أساس الأفكار الخارجية السابق ذكرها بتركيب مبتكر يجمع بعضها إلى البعض الآخر، وتعتمد على خيال الإنسان وقدرته على إيجاد أفكار لا وجود لها في الواقع مثل فكرة الحصان المجنح يطير بدلان من أن يعدو ، ولا يقيم ديكارت وزنا لهذا النوع من الأفكار الذي يعتمد على المخيلة لأنه لا قيمة له في مجال المعرفة الحقة .

3-الأفكار الفطرية التي نتعرف عليها بمجرد النظر في طبيعتها مثل أفكارنا عن الشئ والوجود و النفس والحقيقة والامتداد وعن الله أولا وأخيرا ، وهذا النوع من الأفكار هو أساس المعرفة الموضوعية الدقيقة التي تدرك أيضا الكوجيتو ذلك أن النفس جوهر ماهيته الفكر وأن المادة جوهر ماهيته الامتداد بالإضافة إلى أفكارنا عن الحقائق الرياضية والمنطقية .

### ثانيا : الثنائية الديكارتية

وصل ديكارت إلى فكرة أن الموجودات البشرية مكونة من جوهرين هما العقول الواعية و الأجسام المادية ، ومن ثم فهناك في العالم نوعان من الجوهر الذهن والمادة هذه الثنائية الديكارتية كانت أساسية لفلسفة ديكارت كلها، وهي تبدو مألوفة في العالم الغربي بسبب النظرية المسيحية التي تذهب إلى الموجودات البشرية<sup>1</sup>، وقد اعتقد ديكارت أنه يستطيع أن يزود نظرية الأنفس باحترام فلسفي وحتى الأشخاص الذين ليس لديهم إيمان ديني قوى لا يزالون معجبين بهذه الصورة العاطفية والنفسية في تشكيل الموجودات البشرية ، فالكثير منا يحب أن يعتقد بأن أنفسنا خالدة ولن تفنى .

ومنه عبر ديكارت عن ازدواجية النفس والجسم بقوله " ..... أن النفس العاقلة ليست جسدية فإنه ليس من الضروري أن يكون التعداد مكتملا ، ولكن يكفي أن أجمع كل الأجساد معا في بعض الأصناف بكيفية تبرهن أن النفس العاقلة ليس لها صلة بأي صنف منها"<sup>2</sup>

من خلال هذا القول نستنتج أن ديكارت يسن مبادئه التي توصل إليها " أنا أفكر إذن فأنا موجود " على أن النفس والجسم شيء آخر ومغايرا ، فالنفس جوهر ماهيته امتداد وتحكمه قوانين الطبيعة التي تحكم العالم المادي ، بحيث أننا إذا توصلنا إلى معرفة كل أسرار علم الطبيعة ، فإنه يتسنى لنا عند ذلك معرفة كل ما هو غامض في الإنسان من حيث هو جسم ، وقد جاء ديكارت بثلاثة أدلة لإثبات التمايز الحاصل بين النفس و الجسم هي :

**أ دليل الآنية :** وبهذا تكون آنيتنا موجودة بالرغم من افتراضنا لعدم وجودنا كجسم مادي ، وبالتالي تكون النفس شيئا مابينا للجسم فهو يحس بوجود آنيته كالنفس لا كالجسم .

**ب دليل وحدة النفس وعدم قابليتها للقسمة:** ذلك أن البدن مثل كل الأجسام قابلة للقسمة ، وهو يتألف أصلا من أجزاء عديدة ظاهرة للعيان ولو فقد الإنسان أي عضوا منها ، فإنه يبقى موجودا من حيث النفس أما النفس فهي واحدة غير قابلة للقسمة .

1 - ديف روبينسون وجودي جروفز ، ديكارت ، المرجع السابق ، ص ص 109، 110

2 - ديكارت ، قواعد لتوجيه الفكر ، المصدر السابق ، ص 59



**ج) دليل إدراك النفس للمعقولات البسيطة :** يقوم على أن النفس تتعقل بالفطرة مبادئ أولية بسيطة غير قابلة للقسم<sup>1</sup>، وقد اعتقد ديكارت أنه بهذا الفصل التام بين النفس والجسم أسقط المادية و أقام الميتافيزيقا ، ولكن هذا الفصل الذي ينكر النفس على الحيوان ويجعل من البيولوجيا فرعا قد يؤدي إلى إنكار النفس على الإنسان ورد التعقل إلى الإحساس المشاهد في الحيوان فتسقط الروحانية ، وتسقط الميتافيزيقا من حيث أنها لا تقوم على الحس بل على العقل<sup>2</sup>.

إذن فخلاصة القول أن ديكارت أكد على ضرورة التميز بين النفس والجسم ذلك أن النفس ليست عرضة للفناء كالجسد ، وإنما هي خالدة إلا أنه لم تكن فكرة ديكارت عن النفس مسيحية تماما فقد استخدم كلمات مثل ذهن و نفس و عقل على التبادل ، وهي كلها تشير إلى شيء واحد حتى وإن كانت لها مضامين مختلفة قليلا فكلمة النفس لا تدل دائما عند مفكري القرن السابع عشر على كائن خالد ، بالرغم من أن ديكارت رأى أنها كذلك فهو يحاول أن يؤكد على القضية القائلة بأن الأنفس تختلف اختلافا تاما عن الأجسام .

### إتحاد النفس بالجسد :

بعدها أورد ديكارت العديد من الحجج على أن كل من النفس والبدن متميزان ، توصل إلى أن النفس ليست عرضة للفناء كالجسد ، وإنما هي خالدة ولم يتعرض لمسألة خلود الروح ، وقد جعل ذلك من اختصاص الدين أو الوحي التي تبقى حقائقه فوق الفهم ، وفوق العقل واستدلالاته .

لذا قال ديكارت " .....أظنبت هنا قليلا في الكلام على مسألة الروح لأنها من أهم المسائل ، إذ ليس هناك خطأ بعد خطأ الجاحدين لله .....أن روحنا هي من طبيعة مستقلة كل الاستقلال عن الجسم ، وأنهما

<sup>1</sup> - مهدي فضل الله ، فلسفة ديكارت ومنهجه ، المرجع السابق ، ص ص 119،120  
<sup>2</sup> - يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، (النيل : دار المعارف ، 1119) ، ص 85

تبعاً لهذا ليست عرضة للموت معه....<sup>1</sup> ، والسؤال الذي يمكن أن يطرح هو كيف يمكن يا ترى للنفس والجسم المتمايزان في طبيعتهما أن يتحدا ليكونا موجودا واحدا ، وهو الإنسان ؟

يرى ديكارت أن الجسم الإنساني ظاهرة للعيان وهو خاضع في كل ما يطرأ عليه لقوانين الطبيعة من غير حاجة لتفسير ذلك بعقل غير مادية ، أما النفس الإنسانية فهي موجودة في الغدة الصنوبرية وسط الدماغ ، وعن طريق هذه الغدة تتحرك بسرعة داخل الأعصاب و بها يتم اتصال النفس بالبدن .

أما دور الجسم فهو يقوم بتبليغ النفس بجميع ما يطرأ عليه من أحداث بواسطة الأعصاب ، فترجمها النفس إلى أفكار فلو جرح إصبع لنا مثلا فإننا ندرك الجرح بنفوسنا، ولكننا ننتبه إليه عن طريق الألم الحسي الحادث على الجسم وكذلك الحال بالنسبة إلى الجوع والعطش ، فإننا ندرك ذلك بواسطة نفوسنا ، ولكننا ننتبه إلى ذلك بإحساس .

ومنه فإن التأثير المتبادل بين النفس والجسد يشير إلى أن اتحادهما هو اتحاد جوهري لا انفصال فيه ، إلا عند الموت وعليه فإن حلول النفس في الجسد هي حلول أبدية ، أي كطول النار في الحجر الصوان ، وما يؤكد ذلك هو أن الحياة الإنسانية زاخرة بالظواهر والأحاسيس والرغبات التي لا يمكن تفسيرها تفسيراً روحانياً كالفرح والحزن ، وقد صرح ديكارت في الأخير بأننا نعرف معرفة تامة أن النفس والبدن متحدان ، ونحن ندرك ذلك بالبداهة فقد أراد الله بإرادته المطلقة مثل هذا الاتحاد ، وهو حقيقة خارقة بالرغم من أنها لا تتفق مع طبائع الأشياء أو الأمور بالنسبة إلى عقولنا المحدودة.

لذلك قال ديكارت " .... إذا كان هناك بعض من الناس من لم يقتنعوا اقتناعاً كافياً بوجود الله ووجود أنفسهم بالحجج التي أوردتها ، فإني أريد أن يعرفوا أن كل الأشياء الأخرى التي يرون أنهم أكثر وثوقاً بها ، وذلك مثل أن يكون للمرء جسم ، وأن توجد الكواكب والأرض .... " <sup>2</sup> ، والمقصود بهذا القول هو أن النفس

<sup>1</sup> - رينيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، المصدر السابق ، ص 235

<sup>2</sup> - رينيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، المصدر السابق ، ص 212

جوهر روحاني وكمال للجسم طبيعي ألي من جهة ما يتولد ، لأنه بهما تبدو الحياة والفكر معا وياتصالهما نبلغ الحقيقة المرجو الوصول إليها ، لذا فإن النفس هي مبدأ الأخلاق لأنه لا وجدان ولا إرادة ، ولا عزم لمن لا نفس له نقول فلان ذو نفس أي ذو خلق على قدر ما تكون النفس أقوى وأعظم وأكمل .

### خلاصة الفصل الثاني :

ومنه نجد أن ديكارت في بحثه للمسئلة الدينية قد وظف جملة من البراهين بغية إثبات وجود الكائن الأعظم على نحو ثلاث محطات أثبتت وجود الله الموجد لجميع الكائنات ، والتي من بينها نجد الإنسان الذي كرم بمجموعة من القيم ، منها الأخلاق هذه الأخيرة توفر للإنسان حفظ النفس التي هي مبدأ الحياة والفكر باعتبارها حقيقة متميزة عن البدن ، ودافع قوي في العلاقة الموجودة بين العقل والدين .

## الفصل الثالث

# ارتباط العقل بالدين عند ديكارت

المبحث الأول: الضمان الإلهي للفكر

المبحث الثاني: اللاهوت في قلب العلم الطبيعي والرياضي

المبحث الثالث : ديكارت وعقائد الكنيسة

خلاصة الفصل الثالث

## المبحث الأول : الضمان الإلهي للفكر

لقد سبق وأن تناولنا فكرة الوجود عند ديكارت التي ظهرت على صورة الكوجيتو الشهيرة ، فإن هذه الأخيرة بدورها توحى لنا بأن الفكر له الأسبقية المنطقية في الخروج من غياهب الشك إلى نور اليقين ، ولكن إذا عدنا إلى التأملات في الفلسفة الأولى نجد من النصوص الديكارتية ما يتضمن ويستلزم بالضرورة أن يقين الفكر لاحق منطقيا على يقين الصدق الإلهي فالله هو الضامن لصحة الفكر نفسها .

ولهذا يقول ديكارت " لعل الله لم يشأ إضلالي على هذا النحو ، لأنه سبحانه كريم إنه كان مما ينتزه عنه الله واسع الكرم والرحمة أن يكون قد خلقني عرضة لضلال مقيم فيبدو كذلك مما لا يليق بمقامه أن يأذن بوقوعي في الضلال أحيانا"<sup>1</sup> ، من خلال هذا القول الديكارتية يتضح لنا جليا أنه توصل إلى أفكار يقينية لم تكن في باله من قبل إلا بفضل الله تعالى مما جعله يرى أن الله واسع الكرم والرحمة .

وبالتالي فإن اعتيادية ديكارت الفلسفية على الضمان الإلهي حدها الأقصى عندما يرى عدم إمكانية الوصول إلى اليقين دون معرفة وجود الله وكونه صادقا لذلك يقول " إذا وجدت أن هناك إلها فلا بد أيضا من أن أنظر هل من الممكن أن يكون مطلا : فبدون معرفة هاتين الحقيقتين لا أرى سبيلا إلى اليقين من شيء أبدا"<sup>2</sup> ، بمعنى أنه من شروط الإيمان أو الاعتقاد عند ديكارت ضرورة معرفة ما إذا كان ذلك الإله مضل أم لا أي أن يكون الإنسان متيقن وعارف بكل شيء يخص ذلك الإله ، ويزيد الأمر توكيدا بحزمة أن الإنسان لن يصل إلى علم يقيني ما لم يعرف خالقه ذلك أن من يجهل الله لن يستطيع أن يعرف شيئا آخر معرفة يقينية ، وإذا كان ديكارت يعتبر الوضوح والتمييز معيارين لا يخطئان في معرفة الأحكام الباطلة ويعتبرهما علامتين لا يشوبهما الريب عن اليقين .

<sup>1</sup> -ديكارت ، التأملات في الفلسفة الأولى ، المصدر السابق ، ص ص 77 ، 78

<sup>2</sup> - نقلا عن محمد عثمان الخشت ، أفئدة ديكارت العقلانية تتساقط ، ( مصر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،

1998 ) ، ص 61

كما أنه لا يعتبر الفكر الخالص أصلا لهما ، بل يعتبرهما نابعين من مصدر إلهي ، والدليل على ذلك أن ديكرت ينتهي في التأمل الرابع إلى نتيجة تنصب على أن كل تصور واضح ومتميز هو شيء بلا ريب لذلك لا يمكن أن يكون العدم أصلا له بل لا بد أن يكون الله خالقه ، وهكذا يكون الوضوح و التميز كعلامتين على الصواب المعرفي من خلق الله وبضمانه .

والمستخلص من قول ديكرت هو إبراز جميع الحقائق والمعارف اليقينية التي يتعرض لها أي شك من طرف العقل المفكر، على أن أصلها ومنبعها هو الله ومصدر كل فكرة صادرة من العقل مما يدل على أن عمل العقل يكون بإتحد وتكامل مع الجانب الميتافيزيقي بغية بلوغ الهدف المرمى إليه دون أي شك يخل من صدق تلك المعارف وبهذا نصل إلى الحقائق اليقينية .

والله عند ديكرت ليس ضامنا فقط لصحة الفكر في إدراكه لذاته ، بل ضامنا كذلك لصحة إدراك الفكر للعالم والأشياء ، فالفكر وحده غير قادر على عبور الهوة التي حفرها الشك بين العقل والأشياء في العالم ، وبالله وحده الصادق يمكن للفكر أن يعبر عن الهوة ، لأن ميل الإنسان الطبيعي نحو الاعتقاد بوجود العالم مستفاد من الله الكامل الذي لا يخدع ، وليس من الحواس حيث أن الإحساسات هي أفكار غامضة مبهمة والمعرفة اليقينية لا بد أن تكون واضحة ومتميزة ، معناه انه بفصل الخالق نستطيع الوصول إلى أفكار كنا نجهلها ومتعذرة بعض الشيء إلا انه بفضل الله بلغ ديكرت الحقائق الصادقة الواضحة بذاتها .

أما بالنسبة للعالم المادي باعتباره جوهرًا طبيعيًا عند ديكرت فإن الفكرة الواضحة المتميزة التي لديه عن هذا العالم هي فكرة الامتداد في الطول والعرض و العمق ، لأن كل ما يمكن نسبته إلى الجسم يفترض وجود الامتداد أولاً ، وهذه الفكرة لا تعرف مباشرة بالحواس فهي صورة ذهنية ، كون هذه الصورة الذهنية مطابقة لموجودات حقيقية لا وهمية ، فهذا ما لا تعلمه إلا بفضل الصدق الإلهي لذا يقول ديكرت " ولما كان الله غير مخادع فبين أنه لا يرسل إلى هذه الأفكار بنفسه ومباشرة لا بواسطة مخلوق ، ولا تكون حقيقتها منطوية فيه

على جهة الصورة ، بل على جهة الشرق فقط فإنه لم يكن منحني أي قوة أعرف بها أن ذلك كذلك ...<sup>1</sup> إذن يجب أن نخلص إلى القول بأن الأشياء الجسمانية موجودة .

معناه أن ديكرت حاول أن يفسر كيف أن الله أو الخالق هو كل شيء في هذا الوجود ، لأنه ليس ضامنا فقط لصحة الفكر في إدراكه لذاته بل ضامنا كذلك لصحة إدراك للعالم والموجودات في هذا الكون كله ، ذلك أن الفكر لوحده لا يستطيع أن يسد كل تلك الفجوات التي تركها الشك بين العقل والأشياء ، وهذا ما يؤكد قدرة الله عز وجل وكماله على جميع الأشياء الموجودة في الكون .

في حين أن ديكرت لا يستطيع أن يتخلى عن الضمان الإلهي عندما يفرق بين الأحلام التي يراها الإنسان في النوم والتي لا تأتي من مصدر خارجي ، إلا أن كل من الذاكرة والإدراك والاتساق معايير وان كانت ضرورية إلا أنها غير كافية بذاتها إذا الحاجة ماسة إلى ضمان من الإله الصادق الذي لا يخدع ، لهذا قال ديكرت " ينبغي إلا اشك مطلقا في حقيقة تلك التماثيل ، وإذا أهبت بجميع حواسي وإدراكي لاختبارها فلم ينقل إلى احدهما ما ينافي ما ينقله إلى ساترها لأنه يلزم من أن الله ليس بمضل ، كي لا أكون في ذلك من الضالين<sup>2</sup> . والمقصود ديكرت بعدم استطاعته التخلي عن الضمان الإلهي ، لان هذا الأخير قد ارتبط بكل خطوة من خطوات التفكير الفلسفي الديكارتي وقرب تلك الأفكار إلى الحقيقة واليقين بإزالة كل مواطن الشك ، سواء في مسألة الكوجيتو والعالم المادي وغيرها من الأفكار الفلسفية الديكارتيية وبما أن الله لا يضمن عدم ضلال الإنسان في المطابقة بين التمثل وموضوعات العالم الخارجي ، بل يضمن كذلك صدق الحقائق الأبدية التي يقوم عليها العالم يقول ديكرت في خطاب له إلى الأب مرسين : " أما بصدد الحقائق الأبدية فاني اكرر القول عنها ، أنها صادقة أو ممكنة لا لسبب إلا أنها في علم الله صادقة أو ممكنة ولا ينبغي أن نقول العكس أي أنها معلومة له في صدقها ، وكأن صدقها مستقل عنه ....<sup>3</sup> لذلك لا ينبغي القول

1 - ديكرت ، التأملات في الفلسفة الأولى ، المصدر السابق، ص 166

2 - نفس المصدر ، ص 135

3 - نقلا عن محمد عثمان الخشت ، أقتعة ديكرت العقلانية تنساقط ، المرجع السابق ، ص 20

إن الحقائق الصادقة تبقى كما هي حتى وإن لم يكن الله موجودا هذه لأسبقية وجود الله عن الحقائق ، وهي الحقيقة التي تصدر عنها سائر الموجودات .

و المقصود من خطاب ديكرت الموجه إلى الأب مرسين هو أن تلك الحقائق الأبدية الصادقة النابعة من الله لها أسبقية عن أي علم صدر ، بمعنى أن مصداقية تلك الحقائق الأبدية وإن تبدو لنا غير موجودة فهي موجودة دائما بوجود الله تعالى ، ويظهر هذا على صورة صدق المعلومة أو ذلك العلم بصورة مستقلة ، مما يؤكد أن فلسفة ديكرت تبدو في شكل مطابقة العقل بالذين باعتبار أن أي معلومة أو فكرة لا تتم إلا بواسطة الضمان ومصداقية الإله لإزالة جل أشكال الشك والريب بغية الوصول إلى الحقيقة اليقينية .

إلا أن يقين الأنا أفكر لم يكن بالقوة والرسوخ بحيث يشكل مبدأ كافيا لاستنباط نسق فلسفي متكامل ننتبع فيه سلسلة الحقائق ، لأنه لا يعدو أن يكون وفق العرض الديكرتي له مبدأ هشاً يستلزم المساندة ، ولهذا ادخل ديكرت مبدأ الإله الكامل الصادق لمعالجة جوانب القصور في الكوجيتو ، وانتهى إلى أن الله هو المبدأ العقلي لنسق الاستنباطي ... وفي هذه المغامرة الاستنباطية التي خاضها ديكرت ، ثم أدرج ضمن مبادئ الميتافيزيقيا وموضوعها نظيرا لإسهامه الوظيفي في النسق كله ، وبدون الإله لن يكون لليقين وللإحاطة الشاملة ، وللخصب الاستنباط الذي تتميز به الميتافيزيقا الديكرتية أي وجود.

وهو ما يؤكد أن مبدأ الكوجيتو الديكرتي مبدأ لا يستطيع أن يقدم برهانا على وجود العالم انطلاقا من الفكر الخالص ، فألانا المفكرة لا تعمل إلا في زمن متقطع أي أنها لا تعمل باستمرار في زمان متصل ، ومن ثم ليس لها ديمومة داخلية ، ومعنى هذا أن الذاكرة بحاجة لضمان ، حيث إن الأنا المفكرة تكتسب يقينها عندما تحدد شيئا على نحو مباشر في اللحظة نفسها التي تعين فيها ذلك الشيء الآخر ، فإنها تصبح غير معاينة للشيء السابق وهنا يعوزها اليقين الكامل به نظرا إلى الضن بأشياء كثيرة على أنها حقيقية ويقينية ، ثم بينت الأسباب الأخرى بأنها باطلة على الإطلاق ، لذا قال ديكرت " أجد من المستحيل حين يعمل الفكر في البرهنة على ذلك أن اعتقد ما يخالفه .... فقد يحتمل جدا أن أشك في صحته .... إذ لم أعلم



بوجود إله لأنني أستطيع أن أقنع نفسي بأنه قد صار لي أن أخطئ...<sup>1</sup> ، وعلى هذا فألانا المفكرة بحاجة إلى ضمان كاف للذاكرة حتى يمكنها أن تستمر في بناء حقائق النسق ، ويتمثل هذا الضمان الكافي في الله الصادق فيقول أيضا " ولكن بعد أن بينت أن الله موجود ، إذ بينت في الوقت نفسه أن الأشياء جميعا معتمدة عليه ، وأنه ليس بمخادع وخلصت من ذلك إلى القول بأن كل ما أتصوره بوضوح وتميز لا بد أن يكون صحيحا<sup>2</sup> ، ولهذا فإن البعد الإلهي الميتافيزيقي سابق على الكوجيتو لذا يقول (د. يحي هويدي) " إن ديكرت قد وصل إلى حقيقة الوجود وحقيقة الله عن طريق اكتشافه لنظريتين هامتين نظرية الحقائق الأبدية ونظرية الخلق المستمر ، وكلتا النظريتين قد أوصلتا ديكرت إلى الاعتراف بوجود الله ، وكل هذا قبل أن يكتشف حقيقة الكوجيتو ...."<sup>3</sup> معناه أن ديكرت في أبحاثه الفلسفية سواء العقلية منها أو الميتافيزيقية أنه تمكن الوصول من تحقيق الجانب الميتافيزيقي قبل المعارف العقلية، وهذا ما ظهر في مسألة الوجود، برغم من اعتبارهم نفس الغرض وهو إثبات الوجود ، إلا أن الدين كان يد عون حاضر في توسيع أغلب أفكاره العقلية ، ولما كانت أفكارنا وتصوراتنا أمورا حقيقة ، كانت صادرة عن الله من حيث هي أفكار واضحة وجليّة ، وتعني أنها صحيحة بالضرورة وهذا ما يتبين أن أساس الطريقة التي اعتمدها ديكرت هي الميتافيزيقا .

مما ينتج أن الحقائق لا تصبح يقينية لأنها صادرة عن القدرة الإلهية الكاملة وغير متناهية ، لكن هل تكون هذه الحقائق موضوعة لزمن محدد فقط كما لاحظ "مالبرينش" لأن ديكرت نفسه يشير إلى أن الملك يستطيع أن يغير القوانين التي وضعها ، غير أن هذا الكلام كان فقط لتصحيح ما ورد في المقارنة : فالله ثابت الوجود وليست إرادة تعسفية لأنها لا تتميز عن حكمته ، فيجب أن نترك التشبيه الذي يخضع الإرادة الإلهية لقاعدة سابقة يدركها العقل بحجة أن عقلنا يخضع دائما لمجموعة من القواعد الموضوعية سلفا ، وليس معنى ذلك أن المبادئ العقلية مبادئ نسبية فهي لا تتعلق بنا بل تتعلق بالله فمن حيث المبدأ كان ممكنا أن تتبدل المبادئ العقلية إلا أننا في الواقع ندركها كما هي وتعرف أنها ثابتة وضرورية .

1 - ديكرت ، تأملات ميتافيزيقية ، المصدر السابق ، ص 136

2 - نفس المصدر ، ص 140

3 - يحي هويدي ، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، (القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر) ، ص 27

وخلص القول أن ديكارت بين لنا عجز مسألة الكوجيتو والذات المفكرة في تشكيل مبدأ كافيا لاستنتاج مذهب أو نسق فلسفي متكامل باعتباره في حاجة ماسة إلى يد العون لتشكيل الفكر الفلسفي ، ولا يتم هذا إلا بفضل مبدأ الإله الكامل لمعالجة جميع المواطن الهشة في مسألة الذات المفكرة ، لأنه في حالة غياب الإله الكامل لن يكون هناك نسق فلسفي ميتافيزيقي ، كما يكون هناك غياب للحقائق الديكارتية كالوجود ، والسبب في ذلك هو أن هذه الأنا المفكرة ليس لها القدرة التامة على العمل ، وإنما منقطعة معناه أن الذاكرة في حاجة لضمان الإله ، لذا توصل إلى أن الله هو المبدأ العقلي للنسق الاستنباطي ولهذا لا يمكننا الفصل بين كل من الدين والعقل عند ديكارت ، إذ لا يمكن العمل بأحد في غياب الآخر ذلك أنه لا قيمة لدين في غياب الأنا المفكرة أو العقل كما أنه لا توجد حقيقة فلسفية دون وجود ضمان إلهي كامل .

## المبحث الثاني : اللاهوت في قلب العلم الطبيعي و الرياضي

إن الدارس لفلسفة ديكارت وجب عليه أن يلاحظ لمسة التغير والتجديد في كل خطوة من خطوات فلسفته ، فمن خلال تحليلنا لبعض أهم أفكاره ، تبيننا لنا أنه قد تجاوز جميع منطلقات غيره من الفلاسفة الذين سبقوه سواء في الزمن أو في الفكر، وفي هذه النقطة نقف المتمثلة في تقديمه للعلم الطبيعي ، رغم ما جرى في العرف السائد من تاريخ الفلسفة على جعل الطبيعيات سابقة على الميتافيزيقا ، لكن عندما أراد ديكارت أن يؤسس العلم الكلي القائم على وحدة المعرفة عكس الوضع ، إذ جعل الميتافيزيقا هي الأصل ونقطة المبتدأ لسائر العلوم ومن ثم وضع الميتافيزيقا قبل الطبيعيات ، لأنها عنده بمثابة المقدمة التي تجعل قيام العلوم ، ومنها الطبيعيات ممكنة .

وهذا يعني أن ديكارت لم يكن يعترف بالاستقلال التام للعلم الطبيعي بحكم أن الميتافيزيقا عنده تمثل الدور الرأسي في تكوين الطبيعيات ، وإن كان من المعروف أن الإلهوية هي قلب الميتافيزيقا الديكارتية ومحور ارتكازها الأساسي ، لذا فهل يمكننا التصريح استنادا على ما قاله ديكارت بأسبقية الميتافيزيقا على العلم الطبيعي ، مما يعد ديكارت من هذه الزاوية أكثر لاهوتية من فلاسفة العصور الوسطى الذين يرون العكس .

مما يؤكد أن ديكارت قد استخلص قوانين المادة الطبيعية من ميتافيزيقا وليس من العالم الخارجي ، باعتبار أن مبتغاه هو أن يعرف معرفة قبيلة كل الأجسام الأرضية على اختلاف صورها وماهيتها ، لذا فإن قوانين الطبيعة عنده مشتقة من تصور المادة باستدلال العقلي الخالص ، وليست مستخلصة من المادة ذاتها بالاعتماد على التجربة ، والأكثر من ذلك تأكيدا للبعد اللاهوتي في العلم الديكارتية أن قوانين الطبيعة خاضعة لإرادة الله تلك الإرادة المعروفة بالثبات المطلق وعدم التغير ، وانطلاقا من مفهوم ديكارت عن ثبات الله يرى أن الله قد خلق الامتداد والحركات ذات الكمية الثابتة ، على أن المادة تتحرك وفقا للقوانين الآتية :

11 كل شيء يبقى على حاله ما دام لم يغيره شيء .

12 كل جسم يتحرك باستمرار في حركته على خط مستقيم .

13 جميع أحوال الحركة المتغيرة الخاصة تخضع لقوانين أقل مقاومة والمساواة بين الفعل ورد الفعل ، فإذا التقى جسم متحرك بجسم متحرك بحركة أشد لم يفقد شيئاً من الحركة مقدار ما يعطي ذلك الجسم الآخر<sup>1</sup> .

ومنه فإن ديكارت في تفسيره لظواهر الطبيعية من حركة الكون وامتداده كان تفسيراً ميتافيزيقياً لاهوتياً ولم يكن بشكل طبيعي أي بالقوانين الطبيعية ، ذلك أن الإله الكامل هو الذي يقوم بتسيير شؤون هذا العالم من حركة وامتداد ، ولهذا فإن ديكارت لم يفصل في أفكاره بين الجانب الطبيعي على ما هو ميتافيزيقي وإنما كانت الميتافيزيقا عنده هي الخيط الرئيسي الذي بواسطته تنمو أفكاره الطبيعية والعقلية .

ويرى ديكارت أن الإله الشخصي هو العلة الأولى للحركة أي يفسر الحركة ولا يردها إلى قوانين طبيعية وإنما يرجعها إلى تصور لاهوتي ميتافيزيقي مخالفاً لأسس التي قام عليها العلم الحديث عندما وضع التصورات اللاهوتية جانباً ، وفي الإطار نفسه استنتج أن الإله هو الحافظ لكمية الحركة في الكون ، وأنه شرع للحركة قوانين ثلاثة ثابتة على أساس الإله خالقه ، بل في المحافظة عليها وفي استمرارها أيضاً يقول جيمس كولينز موضحاً تلك المسألة عند ديكارت " صفة الثبات الإلهي تعني أن الإله غير قابل للتغير في وجوده"<sup>2</sup> وأنه يتصرف دائماً بنفس الطريقة إزاء العالم المخلوق ، لأن المحافظة على كمية الحركة تضرب بجذورها في الثبات الإلهي نفسه ، فإن قانون القصور الذاتي يثبت استتباطاً بوصفه قانوناً عاماً للطبيعة أو علة ثانوية لجميع الحركات الجزئية للأجسام الفعلية .

ويؤكد ديكارت على مطلقه القدرة الإلهية في قلب الحقائق ولا شك أن هذا يعارض القول بالثبات والضرورة التي يقوم عليها كل قانون علمي ، ولهذا فإن ديكارت يعود ليضفي على قوانين الرياضية و

<sup>1</sup> - محمد عثمان الخشت ، أقتعة ديكارت العقلانية تتساقط ، المرجع السابق ، ص ص 37 ، 38 ، 39

<sup>2</sup> - نقلاً عن محمد عثمان الخشت ، أقتعة ديكارت العقلانية تتساقط ، المرجع السابق ، ص 40

الطبيعية نوعا من الضرورة التي يضمنها الإله بثبات إرادته وتنزهها عن التغيير ، فإذا كانت قدرته لا متناهية ومطلقة الحرية ، فإنه يخلق العالم وفق قوانين ضرورية ، ويلتزم بما أوجده من حقائق وقوانين ، ولا يشرع لاحقا في تغييرها ومنه يكفل ديكارت الاعتقاد في قدرة الله المطلقة وحرية التامة ، وفي الوقت نفسه يكفل اليقين العلمي القائم على ثبات القوانين والحقائق .

وترتبط نظرية ديكارت عن خلق الله للحقائق السرمدية نظرية أخرى له ، وهي نظرية الخلق المستمر التي تقول بأن فعل الخلق لم يتم مرة واحدة في بدء الوجود ، وإنما هذا الفعل مستمر من خلال حفظ الله للمخلوقات إذا كان في العالم بعض الأجسام أو بعض العقول ، أو طبائع أخرى تامة الكمال فإن وجودها لم تكن لتقدر على أن تقوم بدونه لحظة واحدة .

وفعل الخلق هو نفسه فعل الحفظ من اليقين وهذا رأى متداول بين علماء الدين على العموم ، ذلك أن العمل الذي يحفظه الآن هو نفس العمل الذي صنعه به ، ويبرهن ديكارت على الخلق أو الحفظ المستمر من خلال النظر في طبيعة الزمان ، فالزمان عنده منقسم ولحظاته مستقلة بعضها عن بعض ومن ثم لا ينتج عن وجود الكائن بالضرورة وجوده في اللحظة التالية ما لم يتدخل الله بحفظ بقاء هذا الكائن ، لذا يقول ديكارت " .... إن زمان حياتي كله يمكن أن ينقسم إلى أجزاء لا نهاية لها كل منها لا يعتمد بأي حال على الأجزاء الأخرى ، ويترتب على ذلك كله أنه لا يلزم من أنني كنت موجودا في الزمان الماضي القريب أن أكون موجودا الآن ما لم توجد في هذه اللحظة ....."<sup>1</sup> أي تحفظ على الوجود والواقع لأنها من الأمور الواضحة للغاية عند كل من يمنعون النظر في طبيعة الزمان ، والمقصود به حفظ جوهر ما في كل لحظة من لحظات مدته فهو يحتاج إلى عين القدرة وعين الفعل الضروريين لإحداثه أو خلقه إذا لم يكن بعد موجود ، معناه أن ديكارت قد استعان بالميتافيزيقا في إثباته لمسألة العالم المخلوق ، وهذا يعود لشدة إيمانه بقدرة

<sup>1</sup> - ديكارت ، التأملات في الفلسفة الأولى ، ص ص 158 ، 159

الإله المطلقة لجميع الحقائق العلمية والطبيعية ، ومن المهم أن نعلم أننا لا نملك قوة تكفل الاستمرار في الوجود ، وأن القادر على حفظ البقاء هو ذاته وهو خالق لا يفتر إلى من يحفزه ويبقيه ذلكم هو الله .

وقد استخدم ديكارت نظرية الخلق المستمر في مجال الفيزياء من أجل أن يميز بين الحركة المحددة هندسيا ، وبين القوة المحركة وهي التي يرى ديكارت أن مصدرها هو الله ، كذلك استعان بها ديكارت في تقرير رأيه القائل " أن الطبيعة ليست آلهة " <sup>1</sup> ، أي أن العالم ليس له استقلالاً ذاتياً وليست له حقيقة واضحة ، إن الطبيعة ممتدة في المكان وليست لها قوة ذاتية ولا مبادرة ، وعلى هذا النحو يتجلى حضور عقيدة رئيسية من عقائد الكتاب المقدس في الفلسفة الديكارتية، فنظرية ديكارت عن الخلق المستمر ما هي إلا عقيدة سفر التكوين عن استمرار الله في الخالق والحفظ وهي لب العقائد المسيحية ، حيث إن قصة الخلق كما وردت هي أن الله خلق الكون ولم يتركه لذاته ولشأنه كما يزعم بعض الفلاسفة أن قوته لا زالت عاملة في الكون الذي يعتبر خالقه ومسيره وحافظه.

ومنه يظهر الاتفاق التام بين نظرية ديكارت و عقيدة الكتاب المقدس ، رغم اختلافها عن نظرية أرسطو التي تتحدث عن العلة الأولى ، وكأن لا اتصال بين الله والخلقية الا عن طريق سلسلة من العلل والمعلولات من جهة أن الله ، هو بالنسبة للكون لا يعدو أن يكون المحرك الأول الذي لا يتحرك ولا شأن له بالكون بعد ذلك لا بالعلم ولا بالعناية والحفظ كما يناقض ديكارت والكتاب المقدس من جهة أخرى ، ومن خلال هذا الفاصل الموجود بين الله وخليفته في الأرض التي كانت سائدة في نظرية أرسطو اجتهد ديكارت بدوره لتجاوز ، هذه النظرية في صورة تربط بينهما.

بوحدة الوجود الذي لا يفرقون بين الله والكون ، فانه عند ديكارت والكتاب المقدس ليس هو الكون بمخلوقاته كما أن الخليفة ليست هي الله ، وقد خلق الله العالم عند ديكارت والكتاب المقدس بمحض حريته ،

<sup>1</sup> - نقلا عن محمد عثمان الخشت ، المرجع السابق ، ص44

وهذا ما يسمي في استمارة مألوفة وإن لم تكن دقيقة كل الدقة بنظرية الفيض وقد كان الأجدر أن يقال مع أفلوطين الانبثاق أو التوالد أو شيء آت من المبدأ .

إن القوانين الرياضية للطبيعة قد أسسها الله ، وهي متوقفة عليه كلية مثلها في ذلك مثل سائر المخلوقات والقول بعدم افتقار هذه الحقائق إليه يجعل تصورنا الله كتصور اليونان لجوبيتر و ساترن ، وفيه إخضاع الله للقضاء والقدر ، ويحزم ديكرت بأن الله هو الذي أنشأ هذه القوانين في الطبيعة كما ينشئ ملك القوانين في مملكته ، وإذا ما برز اعتراض على هذا بأن الله لو كان هو الذي ينشئ تلك الحقائق إلا أنه باستطاعته أن يغيرها ، ويرد عليه ديكرت بقوله " هذا يجوز لو كانت إرادة الله متغيرة"<sup>1</sup>، فقد كان جواب ديكرت على اعتراض الحقائق الأبدية هو أن الله كذلك ، أما في حالت ما إذا كان الاعتراض حر كان جوابه هو قدرته بعيدة عن فهمنا ، وانه من الجائز لنا بصفة عامة ان نؤكد قدرته على صنع كل ما لا نستطيع فهمه .

ومنه يظهر الأثر اليسوعي على ديكرت بوضوح حيث إن الأساس الديني عند منشئ الجماعة اليسوعيين ، هو أن الإنسان مخلوق ومن ثم فهو عاجز إذن عن فهم أسرار الله وقدرته ، وانه مع ذلك كائن حر يستطيع تمجيد الله وخدماته .

إذن فالله عند ديكرت هو خالق الحقائق الأبدية وهو في الوقت نفسه ضامن صحة إدراكنا لها ، والأكثر من ذلك أنه كان قادرا وحرًا في أن يخلقها على خلاف ما هي عليه ، رغم انه غير مضطر لخلقها على نحو ما لذا يقول ديكرت " وتساألني ما الذي اضطر الله أن يخلق هذه الحقائق ؟ أجيبك بأنه كان حرًا في أن يجعل أقطار الدائرة غير متساوية ، مثلما كان حرًا في ألا يخلق العالم"<sup>2</sup> ، ومن ثم يتبين لنا إذا كان ديكرت قد اعتبر الرياضيات مفتاحًا للمعرفة ، فإن لا يعني أن هذا المفتاح عقلائي محض ، لأن هذا المفتاح ليس مع الإنسان وليس مؤسسًا على ضمانات الفكر وحده ، وإنما هو مع ذلك خلقه ويضمن صدقه .

<sup>1</sup> - ديكرت ، مقال عن المنهج ، المصدر السابق ، ص 76

<sup>2</sup> - ديكرت ، العالم أو النور ، المصدر السابق ، ص 42

ومع هذا لا يكتف ديكارت بتأسيس العلوم الرياضية والطبيعية على مفهوم الإلهوية ، بل يعطي لهذا التأسيس سلطة لاهوتية مكشف عن زيف العقلانية الديكارتية المدعاة ، حيث يقوم بتكفير من يعترض على تفسيره المقدم ، وكأنه يفكر بآلية التفكير التي هي إحدى الآليات الأصلية في الفكر اللاهوتي ، لذا يقول ديكارت في نص قطعي الدلالة " يبدو لي أن من اعتقد بطلان علل المعلومات الموجودة في الطبيعة على نحو ما وجدناه هو من المعترضين على أفعال الله وتدبيره ، لأن معناه مؤاخذاً الله على أنه خلقنا من النقص بحيث كان عرضة للخطأ ، حتى لو أجدنا استعمال ما منحنا الله من عقل ونظر " <sup>1</sup> ، ومنه فإن خضوع جميع الأحكام للأفكار الواضحة ينطبق على الواقع ، ويؤدي إلى اكتشاف الحقائق التي وضعها الله في أذهاننا كما وضعها في الطبيعة ، فالقواعد التي تلزم العقل هي تعبير عن بنية الوجود ، ولهذا فإن العقلانية الميتافيزيقية عند خلفاء ديكارت ، إلا أن واحد منهم لم يضع موضع الشك تلك الحقائق الثابتة التي ارتاب منها ديكارت قبل أن يعود فيربطها بقدرة الخالق ، وفي رأيهم لا يمكن الارتياح من الحقائق الرياضية بل تبقى حتميتها مثلاً أعلى لكل استنتاج .

وقد حاول سبينوزا على سبيل المر أن المنطقي يعيد عرض الفلسفة الميتافيزيقية الديكارتية ، والمشار إليها في آخر الأجوبة عن الاعتراضات الثانية بطريقة هندسية ثم اخضع نظامه الخاص لهذا الإطار الاقليدي ، ولهذا السبب نجده يبدأ بالتعريفات والبداهيات المسلم بها ثم يتبعها بالقضايا التي يرتبط بعضها بعض .

وفي الأخير نستنتج أن جميع أفكار ديكارت الفلسفية لم تكن تفصل بين الدين والجانب العقلي ، وبهذا فإن العلاقة بين الدين والعقل عنده هي علاقة تكاملية لا يمكن الفصل فيها ، لأنه في حالة ما قمنا بالفصل لن نصل إلى اليقين و الحقائق الفلسفية ، وبما أن الله هو الكائن الوحيد القادر على تنظيم هذا العالم والقادر على استمرار وجود جميع الموجودات وأنه لولاه لما كان في هذا الكون ، لذا فبفضله نصل إلى الأفكار و المعارف الفلسفية واليقين لجميع هذه الحقائق .

<sup>1</sup> - نقلا عن جينفان روليس ، ديكارت والعقلانية ، المرجع السابق ، ص 119



## المبحث الخامس: ديكارت وعقائد الكنيسة

من الواضح أن ديكارت كان يقدم نفسه غالباً كحليف للكنيسة مثلما يتضح في كتاب التأملات ، وفي الرسالة الاستهلالية في مقدمة الكتاب ذاته يعتبر نفسه متبعاً مرسوم البابا ليوم العاشر الذي يطلب فيه إلى الفلاسفة المسيحيين أن يستخدموا كل قوى العقل لتدعيم الإيمان الحق<sup>1</sup> ، ويعد ديكارت نفسه في معشر المؤمنين بالله وخلود النفس والوظيفة التي يضعها لنفسه هي إقناع الكافرين بحقائق الإيمان الكبرى عن طريق العقل الطبيعي ، وكأن العقل في خدمة الإيمان المسيحي والفلسفة تعود لممارسة دورها في العصور الوسطى كخدمة للدين المسيحي .

ويؤكد ديكارت أن لجوءه للعقل والتفلسف ما هو ، إلا وسيلة للبرهان من أجل إقناع الكافرين بعقائد الإيمان ، أما هو فيؤمن بها لأن هذا هو ما جاءت به الكتب المقدسة من عند الله ، لذلك يقول ديكارت " إن وعي بضعفي جعلني لا أصنع آراء جازمة إلا وأحيلها لسلطة الكنيسة الكاثوليكية ولحكم هؤلاء الأكثر حكمة مني"<sup>2</sup> ، معناه أن ديكارت لم يؤسس إيمانه لدين بفضل العقل والفلسفة ، وإنما كانت له مجرد غاية يبرز بها لإقناع الآخرين من الكافرين و الملحدين ذلك لأن إيمانه كان مغروس في قلبه بإرادته القوية .

وإذ يتطلع ديكارت للبرهنة على وجود الله بأدلة لا حاجة إلى استنباطها من شيء غير نفوسنا وغير تدبيرنا لعقولنا ليبين ، أنه يمكن أن نعرف الله معرفة أيسر وأيقن لمعرفتنا لأمر الدنيا حيث يقدم الكتاب المقدس هذا المعنى نفسه كما يبدو من أقوال "سفر الحكمة" في الإصحاح الثالث عشر إذا ورد فيه " إن جهلهم لا يغتفر لأنه إذا كانت عقولهم قد أوغلت إلى هذا الحد في معرفة أمور الدنيا ، فكيف أمكن أن لا تكون معرفتهم الرب أيسر"<sup>3</sup> ، ومنه فإن ديكارت استخدم تدبير العقل في شؤون الدين ليثبت به أقواله على أحقية وجود الله في هذا الكون ، وقد تمثل هذا في جملة من الحجج والبراهين تجعل به غيره من الملحدين يضمنون هم الآخرين

1 - محمد عثمان الخشت ، أفنعة ديكارت العقلانية تتساقط ، المرجع السابق ، ص 51

2 - ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية ، المصدر السابق ، ص 120

3 - نقلاً عن محمد عثمان الخشت ، أفنعة ديكارت العقلانية تتساقط ، المرجع السابق ، ص 53

هذه الحقيقة ، لكن ذلك لم يكن إلا بفعل خدمة أفكار العقل لدين المسير في كثير من المواطن التي وقع فيها أخطأ وقام العقل بتصحيحها .

مما يسلم ديكرت على نحو واضح بساطة رجال الدين على أحكام الفلسفة إذ يطلب من علماء أصول الدين تصحيح ما وقع فيه من أخطأ فهم منبع الرصانة والمعرفة والأكثر فطانة ونزاهة ، ويتضح من تصريحات ديكرت المتتالية سواء في رسائله أو كتبه أن ميتافيزيقا تجسد التزام المسيحي باستعمال العقل لمكافحة إنكار الزنادقة والملاحدة ، مما يميظ اللثام عن ديكرت وقد انطوى تحت لواء حملة مكافحة الزنادقة والملاحدة ، ومن هذا المنظور تحثل التأملات مكانها في خط المناقشة العقلانية عن أصول العقيدة المسيحية .

وإذا كان ديكرت قد تعرض أحيانا لاضطهاد من لاهوتي هولندا ، فقد كان يرى أنه لا يوجد تعارض بين فلسفته وحقائق الكتاب المقدس ، وكان على وعى بأن معارضة أولئك اللاهوتيين له نابع من ذلك الخط الذي وقعوا فيه ، لذا يقول ديكرت في خطاب له "قررت أن أقاتل بكل أسلحتي الناس الذين يخلطون بين أرسطو والكتاب المقدس ويسئون استعمال الكنيسة ...."<sup>1</sup> ، ومن الملاحظ رغم وضوح المحور اللاهوتي في تفكير ديكرت أنه لم يضمن في بنية نسقه الفلسفي أسرار الكنيسة السبعة ولا أسرار التجسد والتثليث والصلب ، ولكن فلسفته جاءت مبرهنة على العقائد الكبرى ، وربما يكون السبب في ذلك أنه وجد من المستعصي عقلانيا حتى على المستوى الظاهري المقتنع ، وتسويغ تلك العقائد النوعية المسيحية الكاثوليكية في بنية نسق فلسفي يزعم لنفسه العقلانية المنهجية .

وفضلا عن هذا فإنه كان يؤكد دوما بإصرار أنه ما من حقيقة فلسفية في مذهبه يمكن أن تكون متناقفة مع حقيقة العقائد المسيحية المنزلة ، و تلك هي الفكرة الشائعة عن العلاقة بين الإيمان والعقل في التوماوية ، ولذلك عندما ينتقد أحد اللاهوتيين نظريته في المادة على أساس أنها لا تتفق مع العقيدة المسيحية النوعية

<sup>1</sup> - رنيه ديكرت ، مقال عن المنهج ، المصدر السابق ، ص 130

الخاصة بتحول الخبز والخمر في القربان إلى جسد المسيح تحولا حقيقيا ، وقد أسرع ديكرت ببديل كل ما في وسعه ليبرهن على توافق نظريته مع العقيدة<sup>1</sup> ، معناه أن ديكرت جاء ليفسر للاهوتيين انه باستطاعته جعل أفكاره متضمنة في عقيدته المسيحية .

وهكذا أراد ديكرت تكرار مناصرة قضية الله ، ولا غرابة في ذلك فهو تلميذ اليسوعيين الذين قاموا بدور خطير في مقاومة الإصلاح هادفين إلى تجديد الكنيسة الكاثوليكية ، وقد قارن أيضا عبارة أكثر رسمية في خطابه المنشور في الطبعة الثانية للتأملات : بما أن الحقيقة الواحدة لا يمكن أن تكون متعارضة مع حقيقة أخرى ، سوف يكون من العصيان الخوف من أن أية حقائق مكتشفة في الفلسفة يمكن أن تكون متعارضة مع حقائق الإيمان ، وفي الواقع أنا أقر على أنه لا يوجد شيء متعلق بالدين لا يمكن تفسيره بوسائل أفضل من مبادئ التي هي أقدر على ذلك من وسائل أولئك الذين ينالون القبول العام .

لذا فإن ديكرت يرى بعدم وجود تعارض بين الفلسفة والإيمان ، باعتبار أن تلك الحقائق التي تما اكتشافها في الفلسفة من المستبعد أن يكون هناك أي تعارض بينها وبين الحقائق الأخرى الإيمانية ، لأن الدين لا يمكن أن يشوبه أي خطأ ، فهو يتحد مع العقل أو الفلسفة التي تعمل على تجاوز جميع الأخطاء الواقعة فيها الحواس .

ومع هذا لم يعترف ديكرت قط بأن عقائد المسيحية النوعية ضد العقل بل كان مقتنعا أنها من نعم الله علينا التي تجاوز طاقة عقولنا في مستواها العادي ، فيقول ديكرت " إذا أنعم الله علينا بما كشفه لنا أو لغيرنا من الأشياء تجاوز طاقة عقولنا في مستواها العادي كأسرار التجسيد والتثليث ، لم يستعص علينا الإيمان بها مع أننا قد لا نفهم واضحا ، ذلك لأنه لا ينبغي أن يقع لدينا موقع الغرابة أن يكون في طبيعة الله وفي

<sup>1</sup> - محمد عثمان الخشت ، المرجع السابق ، ص 58

أعماله أشياء كثيرة تجاوز متناول أذهننا " <sup>1</sup> ، بمعنى أن ديكرت يريد أن يكشف صورة العقل على أنها عاجزة في بعض المواطن ، إذ لا بدا للعقيدة أن تمد له يد العون لفهم بعض المسائل إذا أمكن له ذلك .

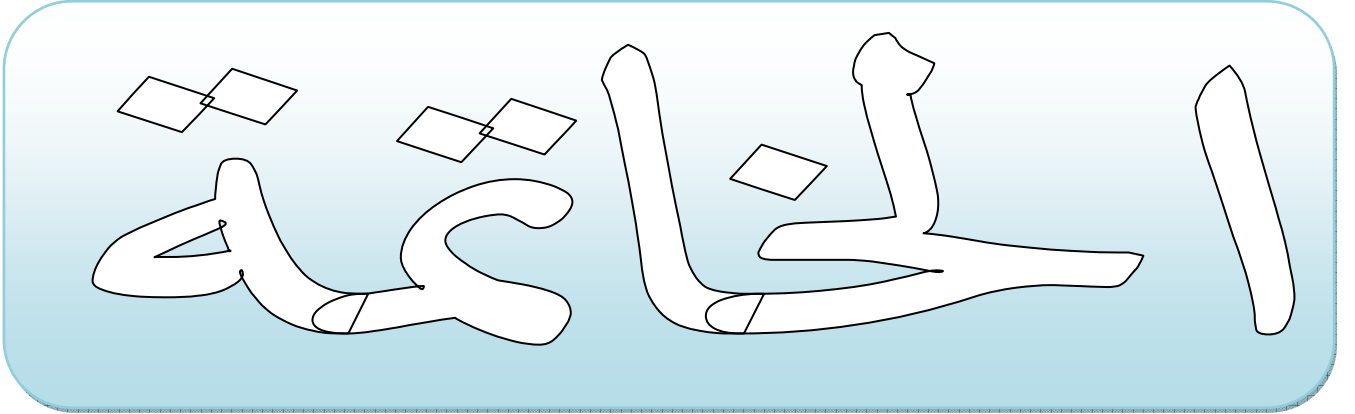
وخلاصة القول أن ديكرت قد وجد الكثير من الصعوبات في تخليص عقول الملحد من الخلط بين العقائد الدينية و الأقوال الفلسفية ، إذ اجتهد على توضيح الصورة بين كل ما هو مقدس وما هو مجرد أفكار جاء بها غيره ، كما وجد صعوبة أيضا في التوحيد والتكامل بين كل من العقل والدين وقد كانت هذه المشكلة يعاني منها الكثير وخاصة في العصر الوسيط ، وقد انتهوا بحل لهذه الإشكالية ، كما نجد ديكرت هو الآخر يؤكد على المخرج الذي وصل إليه غيره من الفلاسفة في العصر الوسيط ، وهذا ما لمسناه في فلسفته من خلال تحليلنا لأفكاره وهو عدم الفصل بين ما هو ميتافيزيقي ، وما هو عقلي ، فقد كان الدين يد العون في جميع أفكاره الفلسفية اليقينية ، وكان العقل في إثباته لجميع الموجودات التي أثبتتها سواء في وجود الذات ، أو الأنا المفكرة وكذلك في وجود الله أو الكمال اللامتناهي ، وفي إثباته لوجود العالم الخارجي رغم أن هذا الأخير يندرج ضمن القوانين الطبيعية .

<sup>1</sup> - ديكرت ، مقال عن المنهج ، المصدر السابق ، ص 134

## خلاصة الفصل الثالث :

إن الميتافيزيقا الديكارتية تختلف اختلافا جوهريا عن الميتافيزيقا الأرسطية والمدرسية التي تدرس الموجود أو الموضوع ، بينما تهتم ميتافيزيقا ديكارت بالذات العارفة أكثر من اتهاها بالموضوع ، وهي أكثر العلوم يقينا ، والحدس والاستنباط هو طريق الذهن في طلبها ، أما المنهج المطبق فيها فهو المنهج الرياضي كما ذكرنا ، بل إن قضاياها أكثر يقينا من القضايا الرياضية لأنها تعتمد على النور الفطري للعقل السليم .





الخاتمة :

إن هذه الدراسة هي بحث في أحد أهم التيارات التي سادت في الفكر الغربي في العصر الحديث ، وهو العصر الذي تجلى فيه التفكير العقلي ، وقد كان ديكارت من أعظم فلاسفة هذا العصر ، حيث وقفنا عنده لإبراز علاقة العقل بالدين ، انطلاقاً من تحليل أفكاره العقلية التي تضمنت في صميمها المسائل اللاهوتية ، ذلك أن ظهور الشك وقواعد المنهج شكل تحولاً جذرياً بالنسبة للتعليم الدينية ، وذلك بتنسيق ديكارت لبعض أفكاره الفلسفية في المسائل اللاهوتية بعد ما كان سائداً في الفلسفات الأخرى ، وهذا ما يدل أن ديكارت لا يهتم بتكثيف المعرفة بقدر ما يهتم بتغيرها تغييراً جذرياً وارتقاء النفس إلى مرتبة جديدة تكون فاعلة في معرفتها ، وقد اعتبر ديكارت أن إثبات الذات المفكرة من انصب السبل المساعدة على تنمية أفكاره باعتبارها الخيط المحرك للعقل معبراً عنه بلفظ الكوجيتو ، ثم انتقل إلى إثبات العالم الخارجي من خلال جملة من الدلائل رسمت بدورها حقيقة هذا الوجود الذي قد يجهله البعض .

ثم تناولنا أفكار ديكارت المتعلقة بالمسائل الدينية أو الميتافيزيقية ، من خلال أبحاثه حول إثبات وجود الله أو الكائن الأعظم باعتباره الخالق الوحيد لجميع الكائنات الحية ، ثم بحثه في حياة هذه الكائنات التواقفة إلى الأمن والاستقرار في إطار الأخلاق الإنسانية ، التي تضمن له هيبته تأكيداً على مكانة النفس بما فيها من قيم سامية عند الإنسان ، لكن هذا لم يكن ليكون لولا فضل العقل المرشد للحكم وفضل الأفكار التي تعصم الإنسان من وقوعه في خطأ .

هذا وقد خلصنا إلى الجوانب التي تظهر فيها علاقة العقل بالدين عند ديكارت ، من خلال مسألة الكوجيتو ، حيث فسر ديكارت كيف أن الله هو الحقيقة المقربة للذات المفكرة لأن الضمان الإلهي حاضر في اللحظة الأولى من لحظات بناء المنهج ، مما يبرز الاتفاق التام بين نظرية ديكارت الفلسفية وعقيدة الكتاب المقدس كما نجد أيضاً وحدة بيت الله والكون والعقيدة ، لذا فإن ديكارت يوضح الصورة الحقيقية للعلاقة الموجودة بين العقل والدين عند ديكارت ، ومنه نستنتج أن أفكار ديكارت الفلسفية هي في صميمها متضمنة



في المسائل الدينية اللاهوتية ، ذلك أن المفكر العقلاني ديكارت لا يبتعد عن العقيدة المسيحية في تفسيره للأفكار الفلسفية في قالب ديني ، مما يؤكد على ضرورة وإلزامية التدابير العقلية والفلسفية للمسائل الدينية المسيحية .

# قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر :

أ- اللغة العربية :

1- رينيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى ، ترجمة : كمال الحاج ، ط4 ، بيروت ، منشورات عويدات ، 1988

2- رينيه ديكارت ، العالم أو كتاب النور ، ترجمة : إميل خوري ، ط1 ، بيروت ، دار المنتخب العربي ، 1999

3- رينيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، ترجمة : محمود محمد الخضري ، ط3 ، الإسكندرية ، الهيئة العامة للطباعة والنشر ، 1985

4- رينيه ديكارت ، انفعالات النفس ، ترجمة : جورج زيناتي ، ط1 ، بيروت ، 1993

5- رينيه ديكارت ، قواعد الفكر وتوجيهه ، ترجمة : سفيان سعد الله ، سفيان سعد الله ، تونس ، دار سراس للنشر ، 2001

6- رينيه ديكارت ، حديث الطريق ، ترجمة : عمر الشارني ، ط1 ، بيروت ، مركز الدراسات العربية ، 2008

ب- باللغة الأجنبية :

- rène Descartes , la discours de la méthode , pour bien conduire sa raison , et chercher la vérité dans les sciences .

المراجع :

- 1- إبراهيم مصطفى إبراهيم ، من ديكرت إلى هيوم ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، 2001 .
- 2- اميل براهيه ، تاريخ الفلسفة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، تر : جورج طرابيشي ، ج4 بيروت ، 1993 .
- 3- الربيع ميمون ، مشكلة الدور الديكرتي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط1 ، الجزائر ، 1982 .
- 4- جان قال ، الفلسفة الفرنسية من ديكرت إلى سارتر ، تر: فؤاد كامل ، دار الثقافة لنشر والتوزيع ، القاهرة ، ( د ، س ، ن ) .
- 5- جنيفاف روليس لويس ، ديكرت و العقلانية ، تر: عبده الطو ، منشورات عويدات ، ط4 بيروت ، باريس ، 1988 .
- 6- ديف روبنسون وجودي جروفز ، ديكرت ، تر :إمام عبد الفتاح إمام ، الهيئة العامة لنشو المطابع ، القاهرة ، 2001 .
- 7- ريجر هوكاس ، الدين ونشو العلم الحديث ، تر : زيد العامري ، مكتبة مدبولي لنشر،(د،س،ن) ، 2008
- 8- زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ، دار النشر، القاهرة ، 1936 .
- 9- صلاح إسماعيل ، فلسفة العقل في فلسفة جون سيرل ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، 2006 .
- 10- عبد القادر تومي ، أعلام الفلسفة الحديثة ، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011 .
- 11- محمد عثمان الخشت ، أقنعة ديكرت العقلانية تتساقط ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، مصر ، 1998 .
- 12- محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي ، دار المعرفة الجامعية ، ج4 ، الإسكندرية ، 1996 .

- 13- محمد توفيق الضوء ، دراسات في الميتافيزيقا ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية ، 1999 .
- 14- محمود حمدي زقزوى ، المنهج الفلسفي بين الغزال و ديكرت ، دار المعارف ، القاهرة ، 1119 .
- 15- مهدي فضل الله ، فلسفة ديكرت ومنهجه دراسة تحليلية ونقدية ، دار الطباعة للنشر ، بيروت ، 2000

- 16- نجيب بلدي ، نوابغ الفكر الغربي ديكرت ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1119
- 17- نظمي لوقا ، الله أساس المعرفة و الأخلاق عند ديكرت ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، 1972
- 18- يحي هويدي ، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، (د، س ، ن)

- 19- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، ط5 ، النيل ، 1119
- 20- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة ، 2012 .

ج- المعاجم والموسوعات :

- 1- جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط3 ، بيروت ، 2006 .

فهرس المواضيع

مقدمة	(أ - ب)
الفصل الأول : ديكارت و العقلانية	.....
المبحث الأول : ديكارت ومفهوم العقل	04.....
المبحث الثاني : المنهج الديكارتي	09 .....
المبحث الثالث : الشك الديكارتي	18 .....
المبحث الرابع :الكوجيتو الديكارتي	23.....
المبحث الخامس: إثبات العالم الخارجي	26.....
الفصل الثاني : الميتافيزيقا عند ديكارت	.....
المبحث الأول : أدلة على وجود الله	33.....
المبحث الثاني : الأخلاق عند ديكارت	40.....
المبحث الثالث : النفس عند ديكارت	48.....
الفصل الثالث : ارتباط العقل بالدين عند ديكارت	.....
المبحث الأول : الضمان الإلهي للفكر	54.....
المبحث الثاني : اللاهوت في قلب العلم الطبيعي والرياضي	60.....
المبحث الثالث : ديكارت وعقائد الكنيسة	66.....
الخاتمة	72.....
قائمة المراجع	.....